جامعة
المنصورة
كلية الآداب

دور العامل الثقافي

في الثورة المشروطية الإيرانية

إعداد

الدكتور / ياسين خالد السردشتي

أستاذ مساعد بقسم التاريخ

جامعة السليمانية بإقليم كردستان

مجلة كلية الآداب – جامعة المنصورة

العدد الثالث و الخمسون – أغسطس ٢٠١٣

دور العامل الثقافي في الثورة المشروطية الإيرانية

د. ياسين خالد السردشتي.

أهمية البحث:

تعتبر الحركة المشروطية الإيرانية (١٩٠٥-١٩١١) من الأحداث البارزة والمهمة جداً في تاريخ إيران الحديث بشكل خاصّ وتاريخ الحركة الديمقراطية في المنطقة بشكل عام، إذ كانت حركة جماهيرية اشتركت فيها مختلف الطبقات والفئات الاجتماعية من الشعوب الخاضعة للحكم القاجاري في إيران يجمعها هدف القضاء على الظلم والاستبداد وإصلاح الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية المتدهورة عن طريق تغيير نظام الحكم القاجاري، من ملكية إسلامية عصور وسطوية ذات إدارة كلاسيكية إلى ملكية دستورية برلمانية ذات مظاهر خارجية مقتبسة من الحكومات النيابية المعاصرة في أوروبا الغربية. تلك الثورة التي، رغم عدم اكتمال رسالتها وانحرافها في منتصف الطريق، كانت تشكل بحق أحد المنعطفات الرئيسية التي فصلت تاريخ إيران عن مرحلة ما قبلها، وأقبلت البلاد بواسطتها على حياة سياسية واجتماعية جديدة، إنها وبسبب انجازاتها السياسية وعواقبها الاجتماعية والثقافية صنعت عهداً جديداً في تاريخ إيران المعاصر؛ لأنها استهدفت طرد النظام القديم عن طريق تعبئة شعبية مدنية، والدعوة إلى مبادىء ليبرالية وعلمانية وقومية، بل وحتى اشتراكية، كما كانت تهدف إلى إنشاء دولة مركزية تعمل على تحديث البلاد بواسطة إصلاحات إدارية وتعليمية وقضائية، وتضعف سلطة الخانات وزعماء القبائل، وتصون الحدود من الأطماع الخارجية الأجنبية وتشكل هوية فارسية حديثة.

هدف البحث:

يهتم هذا البحث، وكما هو واضح من عنوانه، بدور العامل الثقافي في اندلاع الثورة المشروطية الإيرانية وتراكم ثقافة التغيير والمعارضة من خلال عدة قنوات مختلفة، وفي مدة زمنية استمرت عدة عقود من القرن التاسع عشر. اذ بدأت أفكار حديثة حول الاستقلال السياسي والاقتصادي وثقافة الإصلاح والتجديد والعقلانية والتقدمية والتغيير والحرية والمشروطية تتسرب وتتغلغل وتنتشر في جسد المجتمع الإيراني، وأن التراكم الثقافي ونشر هذه الأفكار خلق شعوراً بالحاجة لتحقيق الانتقال إلى النظام الدستوري وإنشاء دولة حديثة في إيران. فقد كان للأنتليجنسيا الإيرانية دورُ كَبير في توجيه أذهان الشباب والفئة الواعية من الإيرانيين صوب الإصلاح و التجدد بدءاً بنبذ الحُكم الاستبدادي والفردية في الحكم، والتحريض على الدستور وسيادة القانون، وفتح الأذهان صَوب التطورات العِلمية والثقافية في العالم يومئذٍ، تلك الفئة التي تحولت بحكم اطلاعها على الأفكار الحديثة واحتكاكها بالمجتمعات الأوروبية إلى جسر لنقل تلك الأفكار ومنقذ للأوساط الاجتماعية البائسة التي خرجت منها أيضاً، والتي كانت تفكر وتعمل وتُخطط من أجل إحداث تغيير جذري في الكيان السياسي والاقتصادي والاجتماعي للدولة القاجارية.

منهج البحث:

لقد تم كتابة هذا البحث وفق المنهج العِلمي التاريخي– التحليلى، معتمداً على كثير من الكتب والمصادر التاريخية الأصيلة وأحدث الدراسات المكتوبة حول الموضوع، وأكثرها باللغة الفارسية، وكذلك بعض الدراسات القليلة المكتوبة بالعربية. وقد حاولنا أثناء الكتابة أن نوضح قدر المستطاع بعض المصطلحات في الهوامش مع الإشارة إلى المصادر بأسلوب علمي دقيق.

"ان ازهار المقاومة و المطالبة بالحرية تنبثق من بذور الثقافة"اميلكار كابرال •

مقدمة في أهمية دور العامل الثقافي في اندلاع الثورات

• زعيم استقلال طينة بيسائو في خطاب له في يونسكو عام ١٩٧٢.

في عام ١٨٥٦، عندما أصدر الكاتب والسياسي المعروف اليكسي دوتوكفيل كتابه القيم تحت عنوان "النظام القديم والثورة الفرنسية"، لم يكن الهدف منه تأريخ الثورة الفرنسية وأرشفة أحداثها، بل كان دراسة الثورة وتحليل النظام السياسي والاجتماعي الفرنسي قبل الثورة وبعدها. وقد خصص توكفيل الفصل الأول والثاني من القسم الثالث للكتاب لتوضيح وتأثير الكُتاب والتوجهات اللادينية على الشعب الفرنسي والتحول الذي حصل في مكانة ونفوذ رجال الفكر والأدب على الساحة السياسية، مما خلق ظروفا يقبل الناس فيه على الثورة ضدّ النظام والواقع السائد. حيث كتب توكفيل تحت عنوان " كيف صار رجال الأدب، في منتصف القرن التاسع عشر تقريباً، رجال السياسة الأساسيين في البلاد، وما ترتب على ذلك من نتائج" مايلي:

" وفيما يتعلق بالمذاهب السياسية لهؤلاء الكُتاب فقد تباينت فيما بينها إلى حد أن مَنْ يرغب فى التوفيق بينها وفى صياغة نظرية واحدة للحكم منها لم يكن ليصل أبدا إلى نهاية عمل من هذا القبيل... بدلا من أنْ تتوقف – مثلما فعلتْ إلى ذلك الحين– فى رأس بعض الفلاسفة، هبطت إلى عامة الناس، واتخذتْ هناك تماسُك هوًى سياسي وحرارته، بحيث صار بوسع المرء أنْ يرى نظريات عامة ومجردة حول طبيعة المجتمعات تغدو موضوعات الحديث اليوميّ بين العاطلين وتلتهب حتى فى خيال النساء والفلاحين؟ وكيف أمكن لرجال الأدب الذين لم تكن لهم لا مقامات رفيعة، ولا ألقاب شرف، ولا ثروات، ولا مسئولية، ولا سلطة، أنْ يصيروا، فى الواقع، رجال السياسة الرئيسيِّين لعصرهم، وحتى الوحيدين لأنهم – بينما كان الآخرون يمارسون الحكم – كانوا وحدهم يتولون السلطة؟ وأنا أود أنْ أبيِّن هذا بقليل من الكلمات وأنْ

أوضّح مدى التأثير الخارق والمفزع الذى كان لهذه الحقائق، التى يبدو أنها لا تخصّ إلا تاريخ أدبنا، على الثورة وإلى يومنا هذا".[١]

كذلك حينما كتب المؤرخ (دانييل مورنيه) كتابه الشهير "الأصول الفكرية للثورة الفرنسية" عام ١٩٣٣، أراد خلاله أن يبرهن على حقيقة ألا وهي، أنه لولا الثورة الفكرية التي أحدثتها فلاسفة التنوير في العقول، لما حدثت الثورة الفرنسية. فالأفكار التنويرية الجريئة التي فككت مشروعية الكنيسة وخطاباتها المتعصبة هيأت الأرضية المناسبة للأطاحة بنظام الملكي المطلق لعائلة (آل بوربون) الذي كان يستمد مشروعيته من هذه الكنيسة التي كانت تخلع على حكم تلك العائلة المشروعية الإلهية، وتقنع جماهير الفرنسيين بتقديم الطاعة له والخضوع لمشيئته رغم كل تعسفه واستبداده. وبذلك أراد مورنييه أن يوضح أهميّة دور الثقافة والتنوير والمقاومة ومناهضة القديم التي كانت سائدة في فرنسا، في اندلاع إحدى أهم الثورات في تاريخ البشرية عام ١٧٨٩.[٢] وقد كان تأثير هذا الدور كبير إلى حد قيل بأن روسو هو الذي صنع الثورة الفرنسية!!

وبعد خمس سنوات من إصدار كتاب مورنييه، كتب المؤرخ والأكاديمي الأمريكي (كرين برينتن) كتابه المشهور "تشريح الثورة" الذي سعى من خلاله إلى تأسيس نمط تتبعه معظم الثورات، وجمع عام ١٩٣٨ المعلومات عن أربع ثورات كبرى: الأمريكية، الفرنسية، الروسية والحرب الأهلية في إنكلترا. وخصص برينتن في الفصل الثاني من كتابه موضوعاً تحت عنوان " انتقال ولاء المفكرين" يشير فيه إلى دور الفكر والثقافة ومجموعات الضغط في اندلاع الثورات الكبرى في التأريخ، وخاصة في الثورة الروسية

---

[١] أليكسي دو توكفيل، النظام القديم والثورة الفرنسية، ترجمة: خليل كلفت، بلا تأريخ، بلا مكان الطبع، ص ١٥٢-١٥٣.

[2] Daniel Moremt , **Les origines intellectuelles de la Révolution française, 1715-1787**, *(Paris: Armand Colin, 1933,1967).*

عام ١٩١٧. اذ يقول برينتن بأن الأفكار دائماً جزء من الحالة ما قبل الثورية، وأن انتشار العقلانية والتقدمية والآيدولوجيات السياسية كاللبيرالية والراديكالية والقومية ساعدت في خلق جو مواتٍ لاندلاع الثورات. كما أشار برينتن بأن المثقفين الذين يعتبرون ضمير المجتمع ونتاج تغييراته الاجتماعية والاقتصادية والفكرية كان لهم دور لايستهان به في غرس قيم جديدة في المجتمع من خلال كُتبهم ومناقشاتهم السياسية ونشاطاتهم الثقافية وكذلك مهاجمتهم للمؤسسات القائمة ونفورهم للنظام السياسي والاجتماعي السائد ورغبتهم في حدوث تحول كبير في المجتمع والأعمال والحكومة. يقول برينتن: " أولاً يتكون لدى المرء انطباع بوجود عدد هائل من المثقفين الكبار والصغار كلهم يبحثون مواضيع سياسية وسوسيولوجية، وكلهم مقتنعون أن العالم وخصوصاً فرنسا في حاجة إلى التغيير من التفاصيل الصغيرة إلى المبادىء الأكثر أخلاقية والقانونية الأكثر عمومية، وإذا استعرضنا الأسماء: فولتير، روسو، ديدرو، رينال، دولباش، فولنيف، هيلنتيوس، دالمبير، كوندورسيه، برناردان، ودوسان بيير، نجد أنهم جميعاً متمردون، وجهوا فطنتهم ضدّ الكنيسة والدّولة".[١]

وقد أكد الكاتب الفرنسي (روجيه شارتييه) في كتابه "الأصول الثقافية للثورة الفرنسية" وجهة نظر كل من توكفيل ومورنييه وبرينتن بشكل أوضح عندما اعتبر بأن الكُتاب والفلاسفة والروائيين والصحفيين والناشرين لنتاجاتهم كانوا يشكلون القوى الاجتماعية الأساسية للحراك الثوري في فرنسا، أن نشر نظرية الإنسان الطبيعي المجرد والعقد الاجتماعي والعلمانية والعقلانية والخطابات النقدية التفكيكية ساعد في خلق فضاء

---

[١] كرين برينتن ، تشريح الثورة، ترجمة: سمير الجلبي، مراجعة: د. غازي بزو، الطبعة الأولى، دار الفارابي، ٢٠٠٩، ص ٧٣-٧٤.

ثقافي جديد ووجهة ضربة مميتة إلى قداسة الكنيسة والملك وهيأت الأذهان لمواجهة النظام السياسي والاجتماعي والانقلاب عليها.[١]

وعلى ضوء ذلك، فقد اهتم كثير من رجال علم السياسة والاجتماع بدراسة دور العامل الثقافي والمُثقفين في نشر الوعي السياسي والاجتماعي بين الناس وتشجيعهم وتعبئتهم لمناهضة الظلم والاستبداد السياسي والقهر الاجتماعي مطالباً بالحرية والعدالة والمساواة. فلم تكن الحركات الإصلاحية، ولا الثورات الديمقراطية والقومية ولا التغييرات والانعطافات الكبرى في التاريخ الحديث إلا لهذا العامل، رغم حجمها، دور واضح في حدوثها. وقد أشار المفكر الألماني (هاينرش هاينه) إلى هذا الدور وحذر الرجال السياسة بألا يتباهوا بمكانتهم وشوكتهم كثيراً، فهم بالآخير ليسوا إلا أداة بيد رجال الفكر والمثقفين، حيث قال :"حتى إن ماكسميليان وروبسبير لم يكونا سوى أداة بيد روسو".[٢] كما قال (لافروف) أحد منظري حركة الناردونيك في روسيا: " إن التقدم الإنساني يكون فقط بواسطة هؤلاء الأفراد الذين يفكرون بشكل انتقادي".[٣]

وهنا بالتحديد، يجب الإشارة إلى الباحث الأكاديمي الاجتماعي البروفيسور (جان فوران) الذي أكد في كتابه القيم "تنظير الثورات) على دور العامل الثقافي كشرط أساسي في حدوث الثورات في العصر الحديث بشكل عام، وفي مناطق آسيا وأفريقا وأمريكا اللاتينية بشكل خاصّ.

وحسب (فورَن)، لكي تحدث الثورة، لابد من تصاعد المعارضة حتي تتجسد في سياق موحد ضدّ النظام السائد، ولذلك يجب انبثاق ثقافة سياسية معارضة مناهضة

---

[1] Roger Chartier, The Cultural Origins of the French Revolution, translated by Lydia G. Cochrance (Durham and London: Duke University Press, 1991). p18.

[٢] كارل ثوثر، جامعة باز و دشمنان آن، ترجمه : عزت الله فولادوند، خوارزمى، ١٣٦٩، ص ٨٩٦.

[3] P. Lavrov , Historical Letters. (Berkeley ,calif. 1967) , p141.

تعمل على تشخيص الظلم وتوسيع فضاء عدم الرضا وفقدان الثقة من السلطات والمؤسسات الحاكمة، إذ ليس الفقر و الاستغلال الهائلان في حد ذاتهما كافيين لتوفير الوضع الثوري، فلابد كذلك من الشعور الذي يحس به الناس ويشكل جزءاً من البنية الفكرية والاجتماعية ، ولكي تستعد أكثرية الطبقات والفئات المعارضة وتجرؤ على الخروج إلى الميدان ضدّ النظام هاتفةً بسقوط الاستبداد والظلم، عليها أن تتوحد تحت شعارات جامعة كالحرية والاستقلال والعدالة. ولأجل ذلك يمكن الاستفادة من الثقافة الشعبية والآيدولوجيات السياسية كالليبرالية والقومية والاشتراكية، بل وحتى الشعور والخطابات الدينية المعارضة والأساطير الشعبية. لأن زيادة وتراكم الثقافة يؤدي إلى زيادة الوعي وبالتالي إلى قابلية أكثر لتضامن وتجمع أكثر الطبقات للفئات المتضررة الساخطة والنافرة من النظام السائد، وهذا بدوره يساعد على احتمال أكثر لحدوث الثورة وانتصارها. [1] انظُر إلى الشكل ١. ١: تأثير الثقافة في اندلاع الثورات.

ومنذ اوائل عقد الثمانينات وكذلك في بدايات التسعينات من القرن العشرين، ظهر اهتمام أكثر بدراسة ومناقشة العامل الثقافي في حدوث الثورات من قبل مراكز العلوم الاجتماعية تحت تأثير تطور علم الاجتماع الثقافي في أمريكا والدراسات الثقافية في انكلترا وكذلك ما بعد البنيوية في فرنسا. وبدأت موجة من المناقشات الفكرية حول دور الثقافة والأيدولوجيا والطروحات الفكرية والسياسية في حدوث الثورات معتمدةً بذلك على دراسات سابقة حول هذا الموضوع، قام بها أمثال (ماكس وبر، غرامشي، اي. بي تامبسون، تدا اسكاج بل، و سيوول). [2]

---

[1] جان فورَن ، نظريهثردازي انقلاب ها، ترجمةء: فرهنط ارشاد، نشر نى، ١٣٨٢، ص ٢٧٣.

[2] Eric Selbin , Modern Latin American Revolution (Moulder : Westview Press, 1993)., Wendy Griswold, Cultures and Societies in the Changing World (thousand Oaks, London, New Delhi: Pine Forge Press, 1994).

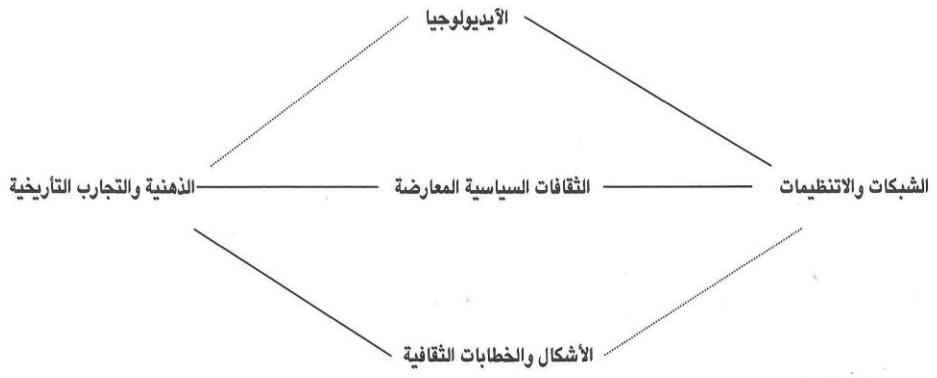

الشكل ١. ١ : تأثير الثقافة في اندلاع الثورات.

" إن جلالة الملك قد نسي تماماً بأنه لم يأت بتاج الملوكية من بطن أُمه و لا بسلطته المطلقة من العالم الغيبي، أنه عليه أن يتذكر بأن سلطته مرتبطة بقبول أو رفض الناس له، إن الناس الذين نصبوه ملكاً عليهم لديهم القدرة أيضاً في أن يضعوامشخصاً آخر بديلاً له".

احدى البيانات الثورية١

تعريف الثورة المشروطية* الإيرانية

---

[١] ادوارد براون، انقلاب مشروطيت إيران، ترجمةي مهدي قزويني، انتشارات كوير، ضاث دوم، تهران، ص ١٦٩.

تعتبر الحركة المشروطية الإيرانية (١٩٠٥-١٩١١) من الأحداث البارزة والمهمة جداً في تاريخ إيران الحديث بشكل خاصّ وتاريخ الحركة الديمقراطية في المنطقة بشكل عام، إذ كانت حركة جماهيرية اشتركت فيها مختلف الطبقات والفئات الاجتماعية من الشعوب الخاضعة للحكم القاجاري في إيران (بلاد فارس آنذاك)، يجمعها هدف القضاء على الظلم والاستبداد وإصلاح الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية المتدهورة عن طريق تغيير نظام الحكم القاجاري من ملكية إسلامية عصور وسطوية ذات إدارة كلاسيكية إلى ملكية دستورية برلمانية ذات مظاهر خارجية مقتبسة من الحكومات النيابية المعاصرة في أوروبا الغربية. تلك الثورة التي، رغم عدم اكتمال رسالتها وانحرافها في منتصف الطريق، كانت تشكل بحق أحد المنعطفات الرئيسية التي فصلت تاريخ إيران عن مرحلة ما قبلها، وأقبلت البلاد بواسطتها على حياة سياسية واجتماعية جديدة، إنها وبسبب انجازاتها السياسية وعواقبها الاجتماعية والثقافية صنعت عهداً جديداً في تاريخ إيران المعاصر لأنها استهدفت طرد النظام القديم عن طريق تعبئة شعبية مدنية، والدعوة إلى مبادىء ليبرالية وعلمانية وقومية، بل وحتى اشتراكية، كما كانت تهدف إلى انشاء دولة مركزية

---

* "المشروطية" مصطلح يأتي بالضد من مطلقية الحكم والاستبداد ويقابل (Constitutionalism) الانكليزية أى الدستورية ، ويبدو انه مقتبسة من اللغة التركية العثمانية نظراً لأسبقية الحركة المشروطية (الدستورية) العثمانية وأدبياتها على الإيرانية. وهناك آراء مختلفة حول جذر الكلمة، اذ أن البعض يرى بأن المشروطية جاءت من كلمة (La charta) الفرنسية، والبعض الآخر يرى أنها مأخوذة من كلمة "شرط" العربية بمعنى الحكم بشروط، أما البعض يرى لأنها جاءت من كلمة "شورى" أى أخذ قرار الحكم بالمشورة و عدم الآنفراد بالرأي. مع كل ذلك الجميع موافقون أن المشروطية الإيرانية بمعنى الحد من السلطة التنفيذية المطلقة من خلال دستور مكتوب ومجلس منتخب وقضاء محايد. انظر:

Gheissari, Ali , Iranian Intellectuals in the 20th Century, University of Texas Press, 1998, p 24.

تعمل على تحديث البلاد بواسطة إصلاحات إدارية وتعليمية وقضائية، وتضعف سلطة الخانات وزعماء القبائل وتصون الحدود من الأطماع الخارجية الأجنبية وتشكل هوية فارسية حديثة.[١]

فصحيح أن بعض الحوادث المفاجئة لعبت دوراً مباشرا في اندلاع الثورة المشروطية، وبالتحديد أن مدير الكمارك الإيراني البلجيكي الجنسية (مسيو نوز Naus) قام بارتداء ملابس رجل الدين وحضر إحدى الحفلات مما اتخذها البعض كحجة في إثارة النفوس الناس ضد الأجانب، أما الحدث الآخر، والذي شكل العامل الحاسم في تأجيج روح الثورة فقد ارتبط بارتفاع أسعار المواد الغذائية وأزمة السكر، إذ قام (عبدالحميد عين الدولة) حاكم طهران وصهر الشاه في الوقت نفسه بجلد عدد من السادة التجار بتهمة احتكار السكر مما أدى إلى قيام بعض التجار بالاعتصام في (مسجد شاه عبدالعظيم)[٢]. هذه الحادثة التي جسدت الصاعق أو الفتيل وأشعلت ثورة تفاعلت مجموعة عوامل سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية عديدة ومتراكمة في تكوينها.

ففي السنوات التي سبقت الثورة الدستورية في إيران، بلغ استياء الشعوب الإيرانية من حكم العائلة القاجارية (١٧٩٤–١٩٢٥) أوجّه. ويمكن القول بأن الهزائم العسكرية التي منيت بها إيران على يد روسيا القيصرية وإجبارها على قبول اتفاقيات مهينة مثل (طلستان ١٨١٣) و(تركمانجاي ١٨٢٨)، ومنح الامتيازات الاقتصادية والتجارية

---

[١] للمزيد : احمد كسروي، تاريخ مشروطه إيران، تهران، ١٣٧٩.، محمد اسماعيل رضوانى، انقلاب مشروطيت إيران، تهران، كتابخانه ابن سينا، ١٣٤٤ .، ايوانوف م.س ، انقلاب مشروطه إيران ، ترجمة : كاظم انصارى ، انتشارات بابك تهران ، ١٣٥٤ش.

[٢] ثيتر آورى ، تأريخ معاصر إيران ، ترجمه : محمد رفيعى مهر آبادى ، جلد أول ، ضاث ضهارم ، انتشارات عطائى ، تهران ، ١٣٧٧ش. ص٢٣١.

الجائرة، وإعطاء الحصانة القضائية للأجانب في إيران، كل ذلك بدوره نمت بذور الاستياء من الظلم والاجحاف لدى الإيرانين. على أن النظام القاجاري قد بلغ مديات واسعة جعلت الناس على حافة الانفجار، لقد عانت الناس من الاستبداد والقسوة المفرطة لشاهات قاجار[١]، وسوء إدارة البلاد، والفساد السياسي والمالى والإداري في الدّولة. كان الحكام يشترون المناصب ويبيعونها، ويدخلون في مثل هذه المعاملات الجائرة بأموال الناس. وكانوا يثقلون كاهل الشعب بالضرائب.[٢] وكان الناس يضطرون في بعض الاحيان إلى إخلاء بيوتهم وسكناهم هربا من جباة الضرائب القساة. ووصل الامر بهؤلاء الجباة بالتعدي على بنات ونساء الفلاحين غير القادرين على دفع ما يفرض عليهم وأخذهن وبيعهن في أسواق الرقيق، كما حدث في قوضان![٣]

من جانب آخر، فإن هزيمة إيران أمام روسيا جعلتها تخسر كثيراً من أراضيها وأجبرتها على دفع ضريبة حربية كبيرة أصابت الدّولة بالعجز من الناحية المالية، كما فقدت الدّولة الأراضي الصالحة للزراعة وانتشرت الأوبئة والأمراض في المدن والأرياف فحصدت أرواح آلاف من البشر. فلم يكن الوضع الزراعي في إيران في حال يحمد عليها، على أن فقدان الطرق السالكة، وصعوبة التبادل الاقتصادي، والضغوط التي كان يمارسها الحكام والاقطاعيون وجباة الضرائب على المزارعين جعلهم يعيشون في بؤس وشقاء ووضع مزرٍ. والأسوء من ذلك، فإن مشكلة الجفاف

---

[١] كان شاهات إيران يعنون بعناوين كظل الله و مالك الرقاب و قبلة العالم و ملجأ الرعية، انظر: يرواند ابراهاميان: إيران بين دو إنقلاب، ترجمة: كاظم فيروزمند ومحسن مديرشانة ضى،ضاث ضهارم،نشر مركز،١٣٨٠ش، ص ٤٤.

[٢] محمد رضا فشاهى ، تحولات فكري و اجتماعي در جامعة فئودالى ايران. از طاتها تا مشروطيت، ضاث سوم ، تهران ، ١٣٨٦، ص ٢٠٦-٢١٣.

[٣] محمد خاتمى زمينه هاى خيزش مشروطه، تهران، ضاث اول، ص ١٦ .

وانتشار المجاعة وهجمات عشائر الرحل زاد في الطين بلة، وجعل من حياة هؤلاء البؤساء من الفلاحين جحيماً لا يطاق.[١]

إن ضعف جهاز الحكم وانحطاط قيمة الفضة دولياً، بالإضافة إلى انخفاض قيمة المواد الخام التي كانت تصدرها إيران قد إثرت على قيمة العملة الإيرانية وكانت في تدن مستمر. ولجأت الحكومة لمواجهة هذا الوضع المأساوي إلى زيادة الضرائب وإدخال المناصب الحكومية في المزايدات وبيع مقدرات البلاد بشكل الامتيازات للأجانب والاستلاف من المصارف الأجنبية التي تعطي قروضاً بالفائدة الربوية.[٢] ومما زاد من غضب الناس أكثر، المبالغ الباهضة التي كان ينفقها البلاط الملكي، والرحلات المليئة بالإسراف التي كان الشاه القاجاري يقوم بها إلى دول أوروبا والغرب بهدف السياحة والاستجمام.[٣]

كل ذلك في وقت كانت كل من روسيا وبريطانيا تتنافسان للحصول على امتيازات تجارية وتسهيلات اقتصادية. وازداد نفوذ التجار الروس والانكليز في الاسواق الإيرانية يوماً بعد يوم بشكل قاد إلى انهيار مكانة التجار الإيرانين في الأسواق وفقدانهم لأرباحهم التجارية، كما أن دخول السلع الأجنبية قد وجه ضربة مميتة لمصالح الحرفيين الإيرانيين الذين أجبروا على غلق محلاتهم وأصبحوا بذلك عاطلين عن العمل اضطر بعضهم إلى ترك البلاد.

---

[١] ثاولويض . م ، سى مقالة دربارهء انقلاب مشروطه ايران، ترجمه : م . هوشيار، ص ٢٣ .، محمد على همايون كاتوزيان، ايران جامعهء كوتاه مدت و ٣ مقاله ديطر، ترجمهء عبدالله كوثري، نشرى نى ، تهران ، ١٣٩٠، ص ٨٥.

[٢] للمزيد :

Hooshang Amirahmadi , the Political Economy of Iran under the Qajars, (I.B . Tauris @Ltd, Palgrave Macmillan , 2012).

[٣] محمد خاتمى،المصدر السابق، ص ٢٨-٢٩.

هكذا تفاعلت كل هذه العوامل وسببت في اندلاع الثورة المشروطية. وهنا يجب الإشارة إلى نقطة هامة ألا وهي: إن بعض الباحثين الروس حاولوا قراءة الثورة وتحليل أسباب اندلاعها وفق المنهج الماركسي التقليدي، وأقروا بكونها ثورة طبقية بورجوازية ضدّ النظام الإقطاعي،[1] إلا أن المتمعن في تاريخ إيران الحديث وأوضاعها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية يدرك بأن التفسير الماركسي التقليدي للثورة قاصر على تقديم صورة حقيقية وواقعية وعلمية للثورة المشروطية. ومما هو واضح، فإن المجتمع الإيراني في القرن التاسع عشر كمجتمع شرقي له خصوصياته، لم يكن فيها نظام إقطاعي متماسك كما كان الأمر في أوروبا، لأن الأراضي الزراعية كانت ملكاً للدولة، ولم يكن هناك حق امتلاك دائم للأرض الزراعية، وأن الظروف الإقليمية والجغرافية وقلة المياه عرقلت يسر نضوج هذا النظام.[2] كما لم تكن الدّولة أداة لطبقة معيّنة أو مرتبطة بها ارتباطاً مباشراً، ولم يظهر في إيران طبقة بورجوازية صناعية أو مالية أو حتى تجارية قوية ومستقلة كما في أوروبا، صحيح إنه بواسطة ارتباط الاقتصاد الإيراني بالسوق الرأسمال الغربي في القرن التاسع عشر، ظهرت طبقة صغيرة من التجار، ولكن لكون هذه الطبقة كانت تابعة للتجارة الخارجية والتحولات الاقتصادية الدولية، فإنّها كانت ضعيفة ولم تكن قادرة أن تظهر كطبقة مستقلة. إن وجود النظام الاستبدادي وعدم الأمان الاقتصادي والاجتماعي لم يساعد على خلق ظروف تتمّ فيها عملية تراكم رأس المال.[3]

---

[1] انظر: ايوانوف م.س ، انقلاب مشروطه ايران ، ترجمه : كاظم انصارى ، انتشارات بابك تهران ، ١٣٥٤ش .، ثاولويض ، المصدر السابق.

[2] كاظم علمدارى، ضرا ايران عقب ماند وغرب ثيش رفت؟ ضاث اول ، نشر توسعة ، ص ١٤٨.

[3] محمد على همايون كاتوزيان، اقتصاد سياسى ايران، ترجمه محمد رضا نفيسى و كامبيز عزيزى، نشر مركز، ١٣٧٤، ص٩.

صحيح أيضا، إن ضعف الحكومة المركزية في إيران أثناء حكم العائلة القاجارية قدمت فرصة لتوسع النظام الإقطاعي وظهور طبقة من ملاكي الأراضي وزيادة قوة الخانات ورؤساء العشائر في الأرياف، ولكن بخلاف الثورات البورجوازية الأوروبية، فقد شاركت الملاكين الأشراف وزعماء العشائر أيضاً مشاركة فعالة، وكان لهم دور مهم في تقدم الثورة. كما أن معارضة التجار والأصناف للدولة ومشاركتهم بعد ذلك في الثورة لم تكن بهدف تغيير أسلوب الإنتاج وإنهاء سيطرة طبقة اجتماعية معيّنة، بل كانت بسبب ملء الأسواق بالسلع الغربية وفقدان الصناعات الحرفية وحماية التجار الأجانب وترك التجار المحليين الإيرانيين بلا حماية.[١]

وهنا بالذات يمكن الاستفادة من جوهر نظرية الباحثة الأمريكية (تدا سكاج بل) لتعريف وتحليل الثورة المشروطية الإيرانية، فهي كبنيوية لا تنكر دور الصراع الطبقي في حدوث الثورات، ولكنها لا تعتبره العامل الوحيد، بل تعتقد بتفاعل العوامل وربطها بواقع البناء الاجتماعي والسياسي. إذ يمكن تلخيص نظرية اسكاج بل حول الثورات الاجتماعية :

أ- بكون الدّولة في مجتمع زراعي.

ب- ضعف المؤسسات الإدارية-العسكرية التي تقودها بيروقراطية زراعية.

ج- الظروف غير المساعدة والضاغطة من قبل الدول الخارجية والدولية.

د- الضغط الداخلي على الدّولة من قبل المحاولات الإصلاحية والتحديثية.

هـ- عدم التوفيق في الإصلاحات والانحطاط العسكري والإداري للدولة وتعرضها للأزمات العنيفة.

---

[١] للمزيد: دكتر سهيلا ترابى فارسانى، تجار و مشروطيت و دولت مدرن ، نشر تأريخ ايران ، تهران ، ١٣٨٤.

و- قيام الفلاحين تحت توجيه القيادات المدينية واندلاع الثورة.[1]

كان المجتمع الإيراني في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين مجتمعاً زراعياً يسوده اقتصاد ريفي بدائي وسكان أُميون يعيشون في أوضاع غير صحية تعيش نسبة ٢٠% فقط من سكانها في المدن، والباقي إما يعيشون في القرى ويشكلون أكثر من نصف السكان، أو يعيشون ضمن قبائل متنقلة أو شبه متنقلة. وكانت الدّولة القاجارية في حالة ضعف تام هيمنت على إدارتها فئة بيروقراطية زراعية وفئة من الأشراف على رأسها العائلة الشاهنشاهية المستبدة، تلك الدّولة ومؤسساتها الضعيفة والبالية التي فشلت المحاولات الإصلاحية الداخلية من تقويتها وجعلها تستعيد نشاطها وتستوعب القوى الاجتماعية الجديدة وتكون قادرة على مواجهة الأزمات الداخلية وتقف ضدّ التدخلات الأجنبية التي كانت تزداد يوما بعد يوم، حتى وصلت الحالة بأن إيران أصبحت كدولة شبه مستعمرة، وظهرت قنصليات الدول الأجنبية كدولة داخل دولة، بشكل تدخلت في تحديد النظام الطمركي، وكيفية جباية الضرائب، وحصلت على امتيازات كبيرة أضرت بالاقتصاد الإيراني وأضعفت الدّولة أكثر فأكثر مما زاد من امتعاض الناس وخلق حالة من اللاتوازن والتخلخل وجواً من عدم الاستقرار. ولكن بسبب عدم وجود طبقة فلاحية مترابطة ومستقلة وتأثير العلاقات العشيرية والاقتصاد المغلق ذات الاكتفاء الذاتي وارتباط الشديد للفلاح الإيراني البسيط بمالكه، لم تكن الأرضية مناسبة لثورة فلاحية في القرى، فبدلاً من ذلك، اتقدت شرارة الثورة بين الطبقات والجماعات المدينية النشأة والممتعضة من ظلم وفساد الحكومة وتسليمها لإرادة الأجانب، تلك الفئات التي يأست من دعواتها ومحاولاتها الأولية لإصلاح وإقرار العدالة ضمن النظام السياسي الموجود والتى وصلت إلى طرق مسدود. وهنا برز دور القيادات الذين تجاوبوا مع الأحداث بنشاط وانخرطوا في قيادة الثورة، تلك القيادات

[1] THEDA SKOCPOL , States and Social Revolution . A COMPARATIVE ANALYSIS OF FRANC, RUSSIA AND CHINA (CAMBRIDGE UNIVERSITY PRESS, 1979.

التي لم تكن تنتمي إلى طبقة أو فئة اجتماعية واحدة، بل خرجت من بين فئات اجتماعية متنوعة كالآتي:

أولاً: أهالى البازار من تجار وكسبة ورؤساء الأصناف والحرفيين الذين شكلوا الدعامة الأساسية والفئة الأكثر فعاليةً للثورة، أسهموا في ضمان التكاليف المالية وتعبئة الناس من منتمى الطبقة المتوسطة وفقراء المدن، وكان لهم صلة وارتباط وثيقين بجميع الفئات الأخرى من المجتمع الإيراني، وخاصةً علماء الدين والروحانيين، فقد كانت بين هاتين الفئتين ارتباطات وعلاقات دينية واقتصادية ومالية، ومن بين هؤلاء أمثال الحاج محمد حسن أمين الضرب.

ثانياً: الروحانييون وعلماء الدين ووعاظ الجوامع المعادين للبلاط الذين كان لبعض منهم أمثال: الآخوند ملامحمد كاظم الخراساني، شيخ عبدالله المازندراني، مرزا حسين خان خليلي الطهراني، سيد كاظم اليزدي، السيد محمد الطباطبائي، شيخ مهدي سلطان المتكلمين، شيخ محمد سلطان المحققين، سيد أسدالله الخرقاني، شيخ إبراهيم الزنجاني، سيد جمال الواعظ، وكل من الشيخ محمد حسن النائيني وسيد حسن تقي زادة – دور لا يمكن إنكاره في التحضير للثورة وقيادتها، وتوجيه الاعتصامات، وتقوية معنويات الثوار، والتحدث باسم الأمة، والمطالبة بإنهاء استبداد وفساد وظلم الحكومة القاجارية، ووضع حد للتدخل الأجنبي، وإقامة العدل، والعمل على حفظ الدين وتطبيق الشريعة، وإصلاح أحوال البلاد والعباد. جدير بالذكر، أن الروحانيين كان لهم تصورات خاصةً حول مفاهيم كالحرية والمساواة والتقدم، ولم يكونوا مختلفين فقط مع

غيرهم حول مسائل فكرية وسياسية بخصوص الثورة الدستورية وإنما كانوا منقسمين فيما بينهم أيضاً.[١]

ثالثـاً: كان لبعض رؤساء العشائر أمثال: الحاج نجفقلي خان صمصام السلطنة والحاج عليقلي خان سردار أسعد البختياري من عشائر القشقائية والبختيارية دور مميز ومصيري في الثورة المشروطية؛ لأنها كانت تعد أهم القوى المسلحة المؤثرة على الساحة، لذلك مشاركتهم كانت ضماناً لأنتصار الثورة.[٢]

رابعـاً: إن النّخبة المثقفة* الإيرانية من المصلحين والآنتليجنسيا التقدميين رواد الإصلاح والتجدد كانت لها الدور الأبرز والأعمق في تهيئة الأرضية الفكرية والآيدولوجية للتغيير السياسي والاجتماعي–الثقافي في المجتمع الإيراني، والتي أتت بمفاهيم جديدة مثل: (الوطن/ ملت)، (قانون)، (الحرية/آزادي)، (حقوق الشعب أو المواطنة/حقوق مردم)، (الدستور)، (البرلمان/مجلس ملى)، ((انتخابات)،

---

[١] عبدالهادى حائرى، تشيع و مشروطيت در ايران و نقش ايرانيان مقيم عراق، تهران ١٣٦٤ .، دكتر جمشيد فاروقى ، روحانيون سياسى يا اسلام سياسى– ضند نكتة ثيرامون نقش روحانيون در انقلاب مشروطه، فصلنامه تلاش ، ١٥ مرداد ١٣٨٥.

[٢] للمزيد حول دور قبائل البختيارية بقيادة سردار اسعد في الزحف نحو اصفهان و التوجه نحو طهران و هروب الشاه الإيراني إلى السفارة الروسية راجع: طارثويت.جن راف، تاريخ سياسى و اجتماعى بختيارى ، ترجمه مهراب اميرى، ضاث اول ، نشر سهند، تهران، ١٣٧٣، ص ٢٥٧–٢٦٣.

* إن أول اشارة إلى كلمة المثقف (intellectual) كان بواسطة مرزا آقاخان الكرماني الذي ذكره بصيغة "منور العقول" حيث قال " إذا يظهر فقط عشرة من{رجال} متعلمين أو فلاسفة داخل أُمة ما، فإنه أكثر استفادة من وجود عشرة ملاين من الناس الجهلة والأغبياء ." وقد أصبح هذا المصطلح يذكر فيما بعد بواسطة"منور الفكر" و "رافع الخرافات"، وفي الآخر اصبح " روشنفكر" المصطلح المعتمد في اللغة الفارسية . انظر:

Gheissari, Ali, Op .cit , p15.

(الديمقراطية/دمكراسى)،(ارادة الشعب/ارادهء ملت)، (حكومة الشعب/حكومت ملى)، (ممثل الشعب/ وكيل ملت)، (القومية/مليت)، (الأخوة/ اخوت)،(حقوق طبيعي)،(استقلال خارجي)، (جمهورى)، (السياسة/بلتيك)، (حزب)، (المساواة/مساوات)،(الثورة/انقلاب)، وكثير من المصطلحات والمفاهيم الجديدة التي لم تكن موجودة قبلاً في الأدبيات السياسية الإيرانية، وفي اللغة الفارسية بمعناها الحالي والتي شكلت فيما بعد المفاهيم الأساسية لأهداف الثورة المشروطية. كانت هذه النّخبة متأثرة بالأفكار الإصلاحية والثورية والديمقراطية التي كانت سائدة في أوروبا الغربية في القرن التاسع عشر، وخاصةً في فرنسا[1] وبريطانيا التي أطرت وعيها السياسي، وبدأت بانتقاد الاستبداد والهجوم على النظام السياسي والفوضى والتخلف الاجتماعي والديني، معتمدة على أفكار فلاسفة ومفكرين سياسيين واجتماعيين غربيين أمثال: (فولتير، روسو، مونتسيكيو، اوغست كونت) وآخرون. تلك النّخبة التي، رغم صغَر حجمها، عملت كجسر لنقل الأفكار الإصلاحية والديمقراطية الليبرالية والثورية إلى داخل المجتمع الإيراني، وأسهمت بذلك في نشر وخلق وعي وثقافة وقيم سياسية واجتماعية جديدة بين أوساط جماهير المدن الإيرانية الكبيرة بشكل فتحت عيونها على ما يحدث داخل البلاد وخارجها، مما أدى بدورها إلى زيادة وعيها وشعورها المشترك بسوء الحالة السياسية والاقتصادية، وتنخرط في الثورة من أجل التغيير وإنهاء الاستبداد والفساد والتدخل الأجنبي، وتطالب بتحقيق العدالة في البداية، و بناء دولة

للمزيد:

عبدالرحيم ذاكر حسين، الأدب السياسي الإيراني، ج١، طهران، ١٣٧٧. وكذلك

N. Jameel , The great French Revolution and establishment of concept (Law) and Freedom in Iran (second half XIX Perespectiv)Tbilisi, 2007.

القانون فيما بعد. فهذه الفئة قد شكلت مع التجار والروحانيين المثلث القيادي للثورة المشروطية.[1]

الوطن بين خيارين لا ثالث لهما

أصبحت إيران رثةً بكاملها

لا دواء لها غير التحديث

ملك الشعراء بهار (ديوان–ج١–ص٢٨٧)

تراكم ثقافة التغيير والمعارضة:

شكلت الأفكار الغربية (الديمقراطية والقومية) روح الثورة المشروطية في إيران التي طالبت بدولة ملكية دستورية مؤسساتية مركزية قوية تعمل على إصلاح الواقع السياسي والاجتماعي والاقتصادي وتقف بوجه التدخل الأجنبي. تلك الأفكار التي تمت نشرها في إيران من خلال عدة قنوات مختلفة وفي مدة زمنية استمرت عدة عقود بدأت منذ بدايات القرن التاسع عشر وفي فترة كان المجتمع الإيراني يعاني من الفقر والأُمية والتخلف الشديد ويئن تحت وطأة الاستبداد السياسي والديني والطبقي تسود فيه ثقافة الخضوع والجبرية والاستسلامية، تتحكم فئة قليلة بمصير الأغلبية دون أن تستند

---

[1] من الدراسات القيمة حول فئة المثقفين ودورها في الثورة المشروطية الإيرانية باللغة العربية انظر: الدكتورة فرح صابر، المثقفون الإيرانيون من التأسيس إلى الثورة . الثورة الإيرانية نموذجاً، دار الكتاب العربي، مؤسسة الصفاء للمطبوعات بيروت– لبنان.

على نص قانوني للحكم، وكان جل اعتمادها على الشريعة الاسلامية. وقد جمع الشاه في يده جميع السلطات ولم تكن هناك اية رقابة على امتيازات الشاه وحدود صلاحياته الذي كان يتخذ قرارات الدّولة بلا مشاركة من الشعب، وكانت فراماناته بمثابة قانون استوجب التمسك بها وتنفيذها دون نقاش، معتمداً على مبدأ (الملكية المقدسة).[١] ولكن منذ بداية القرن التاسع عشر، بسبب ارتباط إيران بالاقتصاد العالمي الرأسمالي وتغلغل الدول الأوروبية الكبرى (روسيا وبريطانيا) في المنطقة، تعرضت إيران لتحدي وضغوطات كبيرة تركت آثاراً واضحة هزت أركان الدّولة والمجتمع. كما أن ضعف البناء الاقتصادي والاجتماعي وسلطة حكومة مستبدة على الاقتصاد والفساد الإداري شكلت سداً بوجه التطور الاقتصادي والاجتماعي، وأدت إلى زيادة الجور والظلم على التجار وأصحاب المهن والحرفيين في المدن وكذلك الفلاحين في القرى. ومنذ ذلك الحين، ومن خلال عدة قنوات، بدأت أفكار حديثة حول الاستقلال السياسي والاقتصادي وثقافة الإصلاح والتجديد والعقلانية و التقدمية والتغيير والحرية والمشروطية تتسرب وتتغلغل وتنتشر في جسد المجتمع الإيراني، إذ أن التراكم الثقافي ونشر هذه الأفكار خلق شعوراً بالحاجة لتحقيق الانتقال إلى النظام الدستوري وإنشاء دولة حديثة في إيران.

وقد ارتبطت أولى المحاولات الإصلاحية في الدّولة القاجارية باسم عباس مرزا (١٧٨٨-١٨٣٣) حاكم إقليم آذربايجان والابن الأكبر لفتح علي شاه (١٧٩٨-١٨٣٤)، الذي شاهد فداحة الخسائر التي تكبدتها إيران من جراء حروبها مع روسيا. حيث أدرك أنه من الضروري تكثيف جهوده لتحديث الجيش الإيراني على النمط الأوروبي. وهكذا جاءت البعثات العسكرية الفرنسية والبريطانية إلى إيران لمساعدتها

---

[١] يروند ابراهاميان ، المصدر السابق، ص ٣٧-٤٥ فريدون آدميت، ايديولوذي نهضت مشروطيت ايران، تهران، ١٣٧٨، ص ٣١٧-٣١٨.

في تدريب وإعادة تنظيم قواتها على غرار التجربة التي قام بها السلطان العثماني سليم الثالث (١٧٨٩-١٨٠٧)، ولكن إصلاحاً مثل هذا لم يكن ممكناً بمعزل عن إجراء إصلاحات مماثلة في المجالات الإدارية والمالية والمرافق الأخرى للدولة. إن تفوق روسيا العسكريا وإعجاب عباس مرزا باستخدام التكتيك والعِلم في الميدان العسكري جعله معجباً بروسيا، إذ أرسل الأمير عباس مرزا بعثتين علميتين إلى بريطانيا، الأولى عام ١٨١١، وكانت تضم اثنين من الشباب الإيرانيين لتحصيل الفنون والعلوم الحديثة، أما البعثة الثانية، فكانت عام ١٨١٥، وضمت خمسة أشخاص لدراسة الهندسة واللغات والحكمة الطبيعية والتاريخ والتدريب على استخدام المدافع. وطالب عباس ميرزا بترجمة كتابين تحت عنوان (تاريخ بطرس الكبير)، و(عوامل انهيار وسقوط الامبراطورية الرومانية)، وكذلك دراسة فن الحدادة، وفتح بمساعدة هيئة تبشيرية مسيحية مدرسة جديدة في تبريز ليتعلم فيها الطلاب الإيرانيون من المسلمين والمسيحيين. وفكر الأمير أيضاً في إقرار سياسة الدّولة المركزية من خلال الحد من تدخلات رجال الدين في القضايا، وإحداث تغييرات جوهرية في سياسة الدّولة تجاه هؤلاء.[١] ومع أن الإصلاحات التي قام بها عباس مرزا كانت محدودة وفوقية وأنها كانت نتيجةً وليس سبباً، إلا أنها نبهت الأذهان إلى ضرورة التغيير.

شهدت إيران في عصر ناصرالدين شاه (١٨٤٨-١٨٩٦) محاولات إصلاحية جدية بدأ بها مرزا محمد تقي خان الفراهاني الملقب بـ (أمير الكبير) الذي مثل نموذجاً مبكراَ للمسؤولين المثقفين الذين أدركوا بوعي محسوس أن إصلاح البلاد ونهضتها لن يتحققا إلا بالانفتاح على العالم الخارجي، والأخذ بأسباب العلوم الحديثة. فقبل أن يتولى أمير الكبير منصب الصدارة العظمى (١٨٤٨-١٨٥٢) قام بزيارة كل من روسيا

---

[١] للمزيد : ناصر نجمى، عباس مرزا، ضاث اول، بهار ، ١٣٧٤ .، مصطفى موسوى طبرى، عباس مرزا قاجار، شرح حال و سياست و خدمات أو ، تهران، انتشارات ابن سينا، ١٣٥٣.،

والدّولة العثمانية، وتأثر بالتقدم والإصلاحات الجارية هناك قياساً بدولة إيران،[١] لذلك عند مقارنته بعباس مرزا فإنه كان أكثر دراية، ولذلك جاءت إصلاحاته أكثر عمقاً وتأثيراً، إذ شملت كافة مرافق الدّولة والمجتمع، من الجيش والإدارة والاقتصاد والقضاء، وإيجاد نظام البريد التلغراف، وإلى الاهتمام بمظاهر المدن، وحقوق الأقليات الدينية، والصحة العامة، والحد من النفوذ الأجنبي، وإدخال التعليم الحديث ومظاهر الحياة العصرية إلى البلاد. ويقال بأنه فكر حتي في إيجاد دستور للحكومة.[٢]

ولعل من مآثر أعماله التي يذكر له في هذا الشأن هو تأسيسه لدار الفنون في طهران في كانون الأول ١٨٥١، إذ كانت تستقبل سنوياً ٢٥٠ طالباً أغلبهم من العوائل الأرستقراطية، قامت الأخيرة بإرسال أربعين خريجاً من المتفوقين الأوائل إلى أوروبا لدراسة اللغات والعلوم المختلفة. وقامت هذه المدرسة بدور فاعل في نهوض إيران، فهي تعد بحق منارة العلم والأدب ومركز الأشعاع الفكري في ظلام استبدادية العهد القاجاري، إذ تخرج منها ألف ومائة طالب خلال أربعين عاماً، وأخذوا على عاتقهم نشر الثقافة والعلم،[٣] كما تسلموا أرفع المناصب الحكومية، وأسهموا إسهاما فعالاً في يقظة إيران الاجتماعية والفكرية، وظهرت في صفوفهم عناصر دعت إلى التجديد والمطالبة بالإصلاح، فكان لهم وخلال جيلين أثر كبير في التحول والتغيير الثقافي.

---

[1] Bernard Lewis, The Emargence of Modern Turkey, 2nd ed. (London : Oxford University Press, 1969), pp.83-84.

[٢] فريدون آدميت ، أمير كبير و ايران، قسمت اول، طهران، ١٣٢٣،ص ٢٤٥-٢٦٠ . محمد محيط طباطبايى،

[٣] محمد محيط طباطبايى، دار الفنون و أمير كبير ، تهران، ١٣٥٤، ص ١٨٦-١٨٧.

من الواضح جداً، بأن دخول الطباعة[1] إلى إيران عام ١٨١٢ وتطور الصحافة وازدهار حركة الترجمة فيها بعد تأسيس دارالفنون أثر بشكل كبير في عملية نشر الثقافة والعلوم وظهور الرأي العام وتعبئته خاصةً بعد النصف الثاني من قرن التاسع عشر،[2] حيث أنشأت أول دار للطباعة باللغة الفارسية في تبريز عام ١٨١٤، وأسست الثانية في طهران عام ١٨٢٤، ثم جاء إدخال الطباعة الحجرية في تبريز عام ١٨٣٥، وفي طهران عام ١٨٤٤. ولعل إصدار صحيفة الوقائع الإيرانية (روزنامه وقائع) في شباط ١٨٥١، بعد أن ظهرت عام ١٨٣٧ ثم توقفت في تبريز، بإشراف ميرزا صالح الشيرازي ، وهو واحد من الخمسة الموفدين للدراسة الذي أرسله عباس ميرزا إلى لندن، كانت دليلاً على سلوك إيران إلى طريق النهضة.

وقد أدى التقارب مع أوروبا إلى ظهور فن كتابة مذكرات السفر التي أثارت اهتمام الإيرانيين وعرفتهم بالتقدم والتطورات الحاصلة في أوروبا على مستوى المؤسسات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، كما أدى التقارب الأوروبي مع طهران إلى ظهور الترجمة واستخدام كتب أوروبية في العلوم والفلسفة والسياسة.

وقد كتب كل من عبداللطيف موسوي الشوشتري، مرزا ابوالحسن الشيرازي المعروف ب(ايلجي)، آقا احمد بهبهاني، سلطان الواعظين، زين العابدين الشيرواني، مرزا صالح الشيرازي مذكراتهم، فكتب الأول الذي عاش سنوات عديدة في الهند مذكراته

---

[1] حول تأسيس أول دار الطباعة في إيران راجع: يحيى آريان ثور، تاريخ ١٥٠ سالةى ادبى فارسى ، تهران، أمير كبير، ١٣٥٤، ص ١٨٦-١٨٧.

[2] يعتبر (بندكت اندرسون) تأسيس دار الطباعة وانتشار الصحافة الأهلية الرأسمالية عاملاً مهماً في ظهور وانتشار فكرة القومية كجماعات متخيلة بين الشعوب من خلال كسر الجمود الفكري و الثقافي وتقوية اواصر العلاقة والأرتباط بين الفئات المجتمع و ظهور الرأي العام. انظر:
Benedict Anderson, Imagined Communities: Reflection on the Origin and Spread of Nationalism (London, 1983).

تحت عنوان "تحفة العالم"، أما ايلجي الذي شغل منصب دبلوماسي إيراني في لندن، فبعد رجوعه إلى إيران كتب مذكراته تحت عنوان"رسالة في حيرة السفراء/ حيرت نامه سفرا"، وكتب آقا احمد بهبهاني "مرآة احوال العالم"، هؤلاء نقلوا صورة واضحة عن كثير من الأمور تخص جوانب المجتمع الغربي كتقدم الطب، وقوة الجيوش، والإصلاحات الدينية، والصناعة، ومؤسسات القضاء واستقلالها، وتقسيم السلطات، ومساواة الجميع أمام القانون، وأصول الديمقراطية، والانتخابات الحرة، والسلطة المقيدة للملك، ووجود مجلس الأمة، وكذلك التعليم والتربية الحديثة، ونظام التعليم المجاني، ودور العلماء والمخترعين في تقدم المعرفة والمجتمع.

كتب سلطان الواعظين في مذكراته عن النظام القضائي الجديد في انكلترا: "من جملة قوانين هذه الفرقة هي إنما لا توجد تسلط من قبل شخص على شخص آخر، إذا حدث أن اعتدى الملك أو أحد الأمراء على مرؤسه أو حتى على خدمه، وحدث أن اشتكى هذا الشخص في المحكمة على المعتدي، فإن القاضي يدعو الاثنين معاً للمثول أمامه لكي يفصل بينهما بالعدل".[١] كما تحدث سلطان الواعظين عن حرية الصحافة، وعرض انتقاد واقع حياة المسؤولين والأمراء في الجرائد الأهلية دون ملاحقة كاتبه، كما يذكر دور ممثلي الأمة في صنع القوانين والقرارات السياسية داخل المجلس دون أن يتمكن الملك من فرض أو الانفراد برأي يخص الدّولة والمجتمع.[٢]

وكتب أبوطالب البهبهاني ملاحظاته عن الفرق الشاسع بين كل من إيران وبعض الدول الأخرى المتقدمة في كتابه "منهاج العلى"، دعا فيه المسؤولين الإيرانين في البلاط القاجاري لزيارة تلك الدول ليروا بأُم أعينهم التقدم الذي تعيشه تلك الدول

---

[١] مقتبس من : لطف الله آجودانى ، روشنفكران ايران در عصر مشروطيت، ضاث دوم ، تهران ، ١٣٨٧، ص ١٢.

[٢] المصدر نفسة ، ص ١٣.

ويحسوا بالأحوال المزرية للإيرانيين تحت الحكم القاجاري. وعزى البهبهاني الوضع الفوضوي والمآساوي في إيران إلى الجهل السائد الذي يعيشه الشعب واعتبر الاستفادة من العلوم التجريبية والقوانين الغربية الحل الأمثل لعلاج التخلف وطرقاً لتقدم وتطور إيران. ومن وجهة نظر البهبهاني: " ما جعل من الغرب غرباً والشرق شرقاً هي الحرية قبل كل شيء، والحرية ليس بالمعنى أن يفعل المرء كل ما يحلو له، بل عليه أن يلتزم بالحرية المقيدة، وهي الحرية الفردية والسياسية والتجارية."[1] ويقول أيضاً: "لايقوم المرء بالعمل الإصلاحي أو الصناعة أو الزراعة إلا حينما يذوق طعم الحرية ويحس بها، لأنه لا يرى نفسه في أمان، إن نجاة إيران ومواطنيها تكمن في الحرية... إن الحرية السياسية تعني حرية الشعب في التدخل في جميع الأمور التي ترتبط به، ومناقشة المسائل التي تخص مصالحه".[2]

وقامت دار العلوم ومكتب الترجمة بطباعة ونشر أكثر من ١٦٠ كتاباً لغاية نهاية القرن التاسع عشر، واشتملت هذه الكتب على ٨٨ كتاباً في المواضيع العسكرية والعلمية والطب واللغات الأجنبية وثلاثة عشر كتاباً عن الأدب الفارسي، وأربع سير ذاتية لشخصيات شهيرة في الإسلام، وعشرة كتب رحلات حول الغرب بما فيها وصف ناصرالدين شاه الخاصّ لرحلاته الأوروبية، وعشر ترجمات كلاسيكية من الأدب الأوروبي وعشرة كتب حول تاريخ إيران. ونشرت أيضاً عشر ترجمات لأعمال أوروبية حول التاريخ الغربي، تضمنت دراسات عن روما، أثينا، فرنسا، المانيا، روسيا وبريطانيا، بالإضافة إلى سيرة الأسكندر الكبير، بطرس الكبير، شارل العظيم ملك السويد، لويس الرابع عشر، نابليون وفردريك الأكبر ملك بروسيا. ولعل من أكثر

---

[1] هما ناطق و فريدون آدميت، افكار اجتماعى و سياسي و اقتصادى در آثار منتشر نشده ى دوران قاجار، ضاث اول، تهران، انتشارات آطاه ، ١٣٥٦، ص ٩٩.

[2] المصدر نفسه، ص ١٠١-١٠٢.

الكتب تأثيراً في التحول الذهني والتغيير الفكري في إيران كان كل من (الحكمة الناصرية/حكمت ناصري)، (فلك السعادة)، و(رسالة الحيوان/جانورنامه {اصل الأنواع لداروين}). الكتاب الأول كان ترجمة رسالة للفيلسوف الفرنسي (ديكارت) حول كيفية استخدام العقل، الثاني من تأليف عليقلي مرزا اعتضاد السلطنة وزير العلوم. وكان السفير الفرنسي (كونت دوطينو) راعي ترجمة رسالة ديكارت، والذي تحدث فيما بعد عن التأثير الكبير لهذا الكتاب على فكر طلاب دار الفنون والأنتليجنسيا الإيرانية، حيث ناقش السفير آراء ديكارت مع هؤلاء في جلسات خاصةً، وتعجب من أسئلة واستفسار ومناقشة هؤلاء معه، معتمدين على أفكار فلاسفة أمثال (سبينوزا وكانط)، إذ يقول: "هذه الأفكار المتنورة وأسماء الفلاسفة المعروفين لم يكن أحد يتصور أبداً بأن هؤلاء كانوا على معرفة بأفكارهم، وقد حصلوا عليها بواسطة كتاب جلبوه من مملكة الألمان إلى إيران". وكان كتاب فلك السعادة احتوى على موضوع في الفكر العلمي التحليلي معتمداً على تحقيقات (نيوتن) وآراء السابقين عليه أمثال (البيروني) و(الفارابي).[١]

كما ألف الحاج مرزا محمد خان مجدالملك السينكي (١٨٠٧– ١٨٧٢) رسالة تحت عنوان "كشف الغرائب" في عام ١٨٧٠، والتي عرفت برسالة المجدية وطبعت فيما بعد، هذه الرسالة تعتبر من أعظم وأجود أنواع النثر الفارسي الحديث التي صورت الأوضاع الاجتماعية المزرية في إيران في العهد الناصري برؤية انتقادية واقعية ولغة

---

[١] ادوارد براون، تاريخ مطبوعات و ادبيات ايران در دورهء مشروطيت، ترجمهى محمد عباس، جلد٢، تهران، ١٣٣٦، ص ١٢٦–١٢٧.، فريدون آدميت، انديشهء ترقى و حكومت قانون . عصر سثهسالار ،ضاث سوم ، شركت سهامي انتشارات خوارزمى، تهران، ١٣٨٥، ص ١٧–٢٥ .

فارسية مبسطة.[1] وفي العقد الأخير من الحكم الناصري تمت ترجمة وكتابة خمس روايات فكرية انتقادية اجتماعية احتوت على مواضيع مهمة مثل :عقلنة السياسة، فلسفة الحقوق الطبيعية، الحركة القومية التحررية، مساوىء الاستبداد، الحكم الرشيد، العدالة. هذه الروايات هي "حكاية تلماك الشاب" من آثار الكاتب الفرنسي المعروف (فنلون)، تمت ترجمتها من قبل مرزا علي خان ناظم العلوم في عام ١٨٧٧، والذي أكمل دراسته في فرنسا وكان متأثراً بالأفكار الجديدة. وكذلك " منطق الوحش" من آثار الكاتبة الفرنسية (كنتس دوسطور)، و"قبلة العذراء"، وهي رواية تاريخية سياسية تروي قصة الحركة التحررية للشعب الجيكي بقيادة البطل الوطني "زتيزكا" من تأليف الروائي الأنكليزي (آر . رينولدز / G. Reynolds) تمت ترجمتها بواسطة سيد حسين خان الشيرازي. أما كتاب "غرائب احوال الملل" لرفاعة الطهطاوي المصري تم ترجمته من قبل مرزا حبيب الأصفهاني في عام ١٨٧٦. إلا إن من أهم الأثار الانتقادية لهذه الفترة هي الرواية التي كتبها التاجر الحاج زين العابدين المراغيي تحت عنوان "سياحتنامهء ابراهيم بيط" في ثلاثة أجزاء. صدر الجزء الأول عام ١٨٨٦، احتوت هذه الرواية على أفكار جديدة وانتقادات شديدة لمجمل الأوضاع السياسية، الاقتصادية، الدينية والأخلاقية للمجتمع الإيراني بلغة ميسرة مقبولة عند الخاصة والعامة أثرت على أفكار التجار والطبقة المتوسطة تأثيراً بالغاً.[2]

مع أن الأفكار الإصلاحية خلال النصف الأول في القرن ١٩ كانت نوعاً ما سطحية وتفتقد إلى أدوات علمية والفهم المعرفي والفلسفى الدقيق لكشف عوامل تقدم الغرب وتخلف وإنحطاط إيران وسوء أوضاعها ، إلا أنها أصبحت نموذجاً في النشاط

---

[1] ماشاء الله آجودانى ، يا مرط يا تجدد (دفتري در شعر و ادب مشروطه) ، ضاث ضهارم ،نشر اختران ، تهران، ١٣٨٧، ص ٦١-٦٢.

[2] فريدون آدميت، ايديولوذي نهضت مشروطيت ايران، ص ٥٢-٨٥.

الفكري لمن جاء من المفكرين والمصلحين المثقفين في النصف الثاني من ذلك القرن، ولاسيما أن هؤلاء الأخيرين قد أدركوا الإحساس بالأزمة التي تمر بها بلادهم أكثر ممن سبقهم، بسبب التواصل والاندماج، إن صح التعبير، مع الغرب، حتى صار العقل الإيراني الرسمي وغير الرسمي يشعر بضرورة التغيير والإصلاح أكثر من أي وقت مضى.

وتجدر الإشارة، بأن المجموعات المعارضة والمعرقلة للإصلاح ورموزها[١] لم تقف مكتوفة الأيدي للأبقاء على الوضع الراهن والاستفادة القصوى من الفساد، حيث قامت بتدبير الدسائس والمؤامرات ضدّ مصلحي الدّولة واتهمتهم بالإلحاد والبابية•، فكما

---

[١] أمثال: امين السلطان، ظل السلطان، فرهاد مرزا، حسام السلطنة، مستوفى الممالك،مرزا آقاخان نورى، امير بهادر، حكيم الملك وبصير السلطنة وغيرهم. وقد تمكن ظل السلطان من إثارة احد ابرز الروحانيين الإيرانيين وهو (ملا علي كني) قاضي المحاكم الشرعية في طهران ضد مرزا حسين خان سثهسالار، عندما اوجد الأخير صحافة جديدة تم الحديث فيها عن موضوع "الحرية"، فقد أرسل الحاج مرزا علي رسالة إلى ناصرالدين شاه كتب فيها :" إن كلمة "حرية" القبيحة ...تبدو في الظاهر وكأنما كلمة معقولة وطيبة، ولكن في الباطن كلها نقص وعيوب. إن هذه المسألة هي ضد جميع احكام الرسل والأوصياء و السلاطين العظام و حكام المقام الأعلى". مقتبس من:
فريدون آدميت، انديشهء ترقى و حكومت قانون، ص ٢١٧.

• البابية حركة دينية سياسية أسسها مرزا على محمد رضا الشيرازى (١٨١٩–١٨٥٠) وهو تاجر من عائلة معروفة بدأ حركته عام ١٨٤٤ بسرية هدفت إلى أحياء افكار "الشيخية" و "الكشفية" التي سبقتها، وقد ادعى الشيرازي انه الباب إلى الإمام المُنتظر، فسُميت أفكاره بالبابية، بل ادعى انه نبي يوحى اليه، ووضع كتابا سماه "البيان". اعدم الشيرازي في ٩ تموز ١٨٥٠ و قتل عشرات الآلاف من اتباعه خلال السنتين التاليتين. المهم في هذه الحركة انها ظهرت نتيجةً لانتشار الظُلم والفساد السياسي والديني وكان اتباعها من بين الطبقات الفقيرة التي حَلِمت بالمساواة وحرية المرأة وبنظام "يملأ الأرض قِسطاً وعدلاً بعد ما مُلئَت ظُلماً و جَوراً" ودخلت في صراع عسكري مرير و دموي مع الدّولة استنزفت قواها إلى ابعد حد. انقسم البابيون بعد اعدام زعيمهم إلى قسمين، جاهر فريق

تمكنوا سابقا من الوقوف بوجه عباس مرزا ولي العهد وعرقلة جهوده من أن يصبح شاهاً على إيران، نجحوا أيضاً في زحزحة ثقة ناصرالدين شاه بأمير الكبير، وتم إصدار فرمان عزله، وتم اغتياله فيما بعد في ١٢ كانون الثاني ١٨٥٢. وكذلك بعدما جاء إلى منصب الصدارة العظمى مرزا حسين خان مشيرالدولة عام ١٨٧١م، وحاول تطبيق أفكاراً إصلاحية في المجال الإداري والقضائي،[١] وشجع ناصرالدين شاه لزيارة الدول الغربية كي يرى بنفسه مدى التقدم والتطورات السياسية والمدنية فيها ويقتنع بأن الانفتاح على الغرب والتحديث ومحاولة إنشاء دولة عصرية في إيران سيأتي بنتائج ايجابية على الدّولة والمجتمع. إلا أن ناصرالدين شاه الذي كان روح الاستبداد يجري في عروقه، مؤمناً بالملكية المقدسة وفردانية الحكم، لم يكن يستهدف من الإصلاح والتحديث سوى تقوية مركزه في الدّولة والمجتمع، وإنه تماشى مع الإصلاحات الداخلية التي كانت أكثر تحفظاً وبطئاً وأقل حديةً إلى الحد الذي يضمُن تَسلطه. وعندما أدرك أن نتائج السياسات الإصلاحية ستؤدي إلى تعرض مكانته للخطر، وأن ازدياد وعي الناس وفتح عيونهم وعقولهم للآراء والأفكار السياسية والاجتماعية الجديدة قد يجعلهم لا يقبلون بالوضع الراهن، بل ويشجعهم على مقاومته وتغييره، لذلك قام ناصرالدين شاه بعزل مرزا حسين خان سثهسالار في ١٨٧٣ أيضاً، وبدأ بسلسلة من الإجراءات القمعية تهدف إلى فرض حظر على كل فِكر حُر، وابتعد الشاه وحاشيته عن الحياة العامة للإيرانين وبقيت سياسته قائمة على الحكم المُطلَقْ ليس للوزراء نفوذ ولا

بخلافة المرزا يحيى نور الملقب بصبح الأزل واطلق عليهم اسم "الأزلية"وتمسك فريق آخر وهم الأكثرية بأخيه الرزا حسين علي المُلقب ببهاءالله وأُطلِق عليهم "البهائية". للمزيد:

احسان الهى ظهير، البابية (عرض و نقد) ، لاهور– باكستان ، ١٩٧٨ .، محمد رضا فشاهى، المصدر السابق، ص ٢١٦–٢٢٦.

[١] للمزيد حول الأعمال الإصلاحية لمرزا حسين خان راجع: فريدون آدميت، انديشهء ترقى و حكومت قانون.

سلطان. ومافتيء يكرر على مسامِع حاشيته بأنه "يُريد وزراء لا يَعرفون الفَرق بين بروكسل كمَدينة أوروبية و بروكلي كنَوعٍ من الخُضار".[١]

ومن جانب آخر، فقد كان للأنتليجنسيا الإيرانية دورُ كَبير في توجيه أذهان الشباب والفئة الواعية من الإيرانيين صوب الإصلاح والتجدد بدءاً بنبذ الحُكم الاستبدادي والفردية في الحكم، والتحريض على الدستور وسيادة القانون، وفتح الأذهان صَوب التطورات العِلمية والثقافية في العالم يومئذٍ، تلك الفئة التي تحولت بحكم اطلاعها على الأفكار الحديثة واحتكاكها بالمجتمعات الأوروبية إلى المنقذ للأوساط الاجتماعية البائسة التي خرجت منها، والتي كانت تفكر وتعمل وتُخطط من أجل إحداث تغيير جذري في الكيان السياسي والاقتصادي والاجتماعي للدولة القاجارية، وكانت لها دور كبير وواضح في إثارة الرأي العام الإيراني ضدّ الشاه باعتباره غير قادرعلى قيادة الحكم في البلاد، لاسيما بعد تزايد النفوذ الأوروبي. ومما هو جدير بالنظر، أن الفئة المثقفة الإيرانية كانت منتمية إلى فئات اجتماعية مختلفة وانقسمت بين تيارات فكرية سياسية متباينة ليبرالية واشتراكية ديمقراطية وشيوعية عرقلت قيامها ببناء استراتيجية فكرية شاملة للتغيير. كما أن هناك بعض من المصلحين والمتنورين الذين انطلقوا من بنية فكرية دينية محاولاً التوفيق بين التراث والحداثة. ومن أهم المثقفين الإيرانيين الذين كان لهم تأثير واضح في تهيئة أذهان الإيرانيين ونشر ثقافة الحرية والمساواة والثورية: مرزا مالكوم خان ناظم الدولة، مرزا يوسف خان مستشارالدولة، مرزا فتحعلي آخندوف، مرزا آقاخان الكرمانى، مرزا عبدالرحيم طالبوف، شيخ احمد الروحى، مرزا حبيب الأصفهانى، السيد جمال الدين الأفغانى.

يعتبر مرزا مالكوم خان (١٨٣٣–١٩٠٨) الزعيم الروحي أو الأب الفكري للثورة المشروطية الإيرانية، وحسب مؤلف كتاب (تاريخ نهضة الإيرانيين/ تاريخ بيدارى

---

[١] الدكتورة فرح صابر، المصد السلبق، ص ٤٧.

إيرانيان) كان دوره في الثورة المشروطية كدور روسو وفولتير في الثورة الفرنسية،[1] وانه بحكم دراسته في فرنسا، وعمله في السلك الدبلوماسي، وكونه سفيراً في باريس ولندن واسطنبول لعدة سنوات، وكذلك عمله كمستشار للصدر الأعظم مرزا حسين خان سثهسالار، كان مطلعاً اطلاعاً واسعاً على الأفكار الإصلاحية والحداثة الغربية، كما كان ذات ثقافة عالية وذكاء حاد ومعرفة بواقع المجتمع الإيراني لا يضاهيه أحد. كان مالكوم متأثراً بأفكار اوغست كونت وفلاسفة التنوير الفرنسي كروسو وفولتير ومونتسيكيو وغيرهم، كما كان متأثراً بالليبرالية الانكليزية وبالأخص الليبرالية الاقتصادية لستيوارت مل، وله رسائل عديدة "مجلس تنظيمات"، "نداء العدالة / ندای عدالت" ، "ماهي السياسة الإيرانية؟ / سياست إيران جيست؟" "اصول ترقي"، " مذهب ديوانيان"، الواردات والصادرات / مداخل و مخارج"، "التنوير/روشنائي" "دفتر قانون" وكثير من المقالات التي نشرها في جريدة "قانون" الصادرة في لندن والتي كانت تدخل إيران سرياً.[2]

كان مالكوم خان يعتبر الاستبداد السياسي والحكومة الملكية المطلقة وعدم وجود دولة القانون السبب الأساسي لجميع الشرور الذي أصاب المجتمع والدّولة في إيران. لذلك دعا في رسائله إلى الإصلاح، وإرساء دعائم نظام حكم مؤسساتي يستند إلى

---

[1] ناظم الاسلام كرمانى ، تاريخ بيدارى ايرانيان، به كوشش على اكبر سعيد سيرجانى، بنياد فرهنط، ١٣٥٧، ص ١٥٢.

[2] للمزيد: دكتر ماشاءالله آجودانى ، مشروطه ى ايرانى ، ضاث نهم، تهران ، ١٣٨٧، ص ٢٨١-٣٦٢.، محمد رضا فشاهى، المصدر السابق، ص٤٣٨-٤٦٨. من أهم الصحف الإيرانية الأخرى التي كانت تطبع خارج إيران في هذه الفترة هي : "كمال" و "ثرورش" و "حكمت" و "ثريا" و " ضهرة نما" في القاهرة، و "اختر" و "شاهسون" في اسطنبول، و "آزاد" و "حبل المتين" و "كلكتا" "مفتاح الظفر" و" راست كفتار" في كلكتا- الهند ، و "مدرس فارسى" و "دعوة الأسلام" و "كوكب ناصرى" في بومباي-الهند.

دستور والبرلمان وسلطة تنفيذية مسؤولة أمام المؤسسة التشريعية، وكان في بداية تروجيه لأفكاره الإصلاحي يطالب بأخذ النموذج الغربي للنظام السياسي بشكل كامل، ولم يكن يهتم كثيراً للاعتبارات الدينية وخصوصية المجتمع الإيراني.[١] ولكن فيما بعد بدأ يحس بأهميّة دور الروحانيين الإيرانيين في التحريض لمواجهة التدخل الأجنبي ومقاومة استبداد البلاط، لذلك حاول كسب ود هؤلاء، ولفّ أفكاره بغلاف ديني، وأظهر بأن الديمقراطية والحكم الدستوري لا يتناقض مع جوهر الدين، بل ويتطابق معه بشكل أن الشورى هي الديمقراطية بحد ذاتها، وأن الإسلام دعا إلى دولة القانون والدستور والمواطنة والدّولة المسؤولة. وبدأ من هذه الزاوية يهاجم الاستبداد القاجاري، ويدعو رجال الدين إلى العمل بمبدأ "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"، وتحريض الناس ضدّ الفساد المستشري في الدّولة والمجتمع.[٢]

كان مالكوم خان يؤكّد دوماً في رسائله على أهميّة (القانون)، حيث كان يقول:" قد أعطى الله إيران كثيراً من النعم، ولكن مما يمنع التمتع بتلك النعم هو فقدان القانون، ما من أحد يملك شيئاً في إيران لأن القانون غير موجود، نعين الحاكم بدون قانون، نعزل قائد الجيش بدون قانون، نبيع حقوق الدّولة بدون قانون، نحبس عباد الله بدون قانون، نشق البطون بدون قانون...في الهند وباريس ومصر وتفليس واسطنبول، بل وحتى بين التركمان، كل واحد يعرف ماهو حقوقه وواجباته، إلا في إيران لا أحد

---

[١] لطف الله آجودانى، المصدرالسابق، ص ٥٢-٥٣.

[٢] للمزيد حول شخصية مرزا مالكوم خان و نضاله السياسي تأثيره الفكري راجع:
اسماعيل رائين ، مرزا مالكم خان "زندطي و كوشش سياسي او"، ضاث دوم ، تهران، انتشارات صفي عليشاة، ١٣٥٣ .

يعرف ما له وما عليه لأنه لا يوجد قانون...حتى الأمراء ليسوا مطمئنين على ظروف معيشتهم بقدر خدم سفراء الدول اللأجنبية".[١]

وكتب مالكم خان أيضا " إذا كنت تؤمن بالدين اطلب القانون، إذا كنت معتقلاً من قبل الدّولة اطلب القانون، إذا كان بيتك مهدماً اطلب القانون، إذا كان راتبك مقطوعاً اطلب القانون، إذا كانت وظيفتك وحقوقك بيع للآخرين اطلب القانون، إذا كنت فقيراً...إذا كنت صاحب عائلة...إذا كنت تملك شيئاً اطلب القانون".[٢]

كما كان لصاحب كتاب "كلمة واحدة / يك كلمة" وهو يوسف خان مستشارالدولة التبريزي (١٨٢٣-١٨٩٥) دور كبير في نشر الفكر الدستوري في إيران، وإن كتابه هذا اعتبر كمانيفيستو للدستوريين، فقد تولي يوسف خان مناصب دبلوماسية خارج إيران، وعمل في روسيا وفرنسا وزار لندن اربع مرات، وكتب كتابه عندما كان يشتغل منصب القائم بأعمال بلاده في باريس ١٨٦٧-١٨٧٠،[٣] إذ لخص فيه سر تقدم المجتمعات الغربية بكلمة واحدة، وهي (القانون) الذي لا وجود له اصلاً في إيران. وكان يوسف خان مستشارالدولة مثقفاً جريئاً وتحررياً ناقماً من الاستبداد السياسي والتخلف الاجتماعي متأثراً بالفكر الليبرالي الأنكليزي، وأفكار التحرريين الروس في القرن التاسع عشر، وكذلك المفكرين الثوريين الفرنسيين. لذلك قام في كتابه الذي كان ترجمةً وتعليقاً على دستور فرنسا لعام ١٧٩١، والذي تضمن إعلان حقوق الإنسان الشهير أيضاً، برفض الحكومة المستبدة وسلطة الشاه المطلقة، وأكد على أن الشعب مصدر السلطات، وأشار إلى فصل بين السلطة التشريعية والتنفيذية، ونظام

---

[١] يرواند آبراهاميان ، المصدر السابق، ص ٦٢-٦٣.

[٢] قانون، العدد الثالث، (شعبان ١٣٠٨/ ٢٢مارس ١٨٩٠)

[٣] حول حياة مستشار الدولة راجع: ناظم الاسلام كرمانى ، تاريخ بيدارى ايرانيان، المصدر السابق، ص ١٦٩-١٧٢.

الانتخابات، واختيار الممثلين للبرلمان وكذلك حكم الشعب من قبل الشعب. كما أشار إلى دور القانون في البلاد المتقدمة في فرض النظام والعدل والاستقرار بشكل حتى إن المسؤولين الكبار في الدّولة لا يجرؤون على خرقه، "حتى إن الملك وشخص متسول متساوون أمام القانون".[١]

وفي رسالة إلى مرزا مظفرالدين ولي العهد، أشار يوسف خان بالتقدم السريع للدول الجوار والشلل التام لدولة قاجار نتيجة إهمال وفساد مسؤولي البلاط وعدم وجود قانون عصري ينظم ويصون حقوق أفراد الشعب، كما أكد على دور التعليم الحديث وإنشاء مدارس عصرية في انتشار العلوم والمعارف ومكافحة الأوهام والجهل. وقال "إن مقام العلوم الدينية مقابل العلوم العصرية كشمعة مقابل الشمس".[٢]

وفي كتيب آخر قدمه يوسف خان إلى مظفرالدين خان عندما كان حاكماً على ولاية آذربايجان تحت عنوان "الكتيب البنفسجي / كتابجهء بنفش" هاجم يوسف خان سياسة الاستبداد وأظهر معايبه الكبيرة، واستنتج "إذا لم تعمل الدّولة على تأمين الحرية للشعب، فسوف يقوم الشعب بمطالبة هذا الحق بنفسه في المستقبل".[٣] لذلك فقد اعتبر ناصرالدين شاه أفكار يوسف خان مستشارالدولة خطراُ كبيراً على أركان حكمه المطلق وأمر بإلقاء القبض عليه وحبسه في قزوين، وعذبه أشد العذاب، لذلك يقال عن كتاب "يك كلمة" الذي كان أول رسالة في إصلاح النظام الحقوقي بأنه كتاب قتل مؤلفه!! [٤]

---

[١] ماشاء الله آجودانى ، المصدرالسابق، ص ٤٥٦-٤٥٧ .، لطف الله آجوداني ، المصدر السابق، ص ٤٧-٤٩.

[٢] ناظم الاسلام كرمانى ، المصدر السابق، ص ١٧٢-١٧٣.

[٣] محمد رضا فشاهى، المصدر السابق، ص٤٣٦.

[٤] مهدي بامداد، شرح رجال ايران در قرون ١٢ و ١٣ و ١٤ هجرى، تهران، ١٣٥٧، ص ٤٩٢.

وكان للأديب المسرحي الليبرالي والقومي العلماني مرزا فتحعلي آخوندزاده (١٨١٢-١٨٧٨) دور واضح بين المثقفين الإيرانيين في الدعوة إلى رفض الاستبداد والتحجر المذهبي وإقامة نظام دستوري برلماني وفصل السلطات وتحديد سلطة الملك وتقليص نفوذ رجال الدين في الدّولة والمجتمع وتبني الحضارة الغربية بحماس.[١] حيث كتب آخوندزادة :" أيها الإيرانيون: إذا استطعتم إدراك منافع الحرية وحقوق الإنسان، وإذا تعلمتم العلوم، وشكلتم الجمعيات السرية، ووحدتم قواكم، وقررتم تحرير أنفسكم من الاستبداد والمستبدين فإنكم لن تقبلوا أبداً بالعبودية والهوان."[٢] ويقول أيضاً: "من الواضح أنه بعد انتشار العلوم وتقدمها، فإن الاستبداد والتطرف الديني لا يبقى لهما من وجود."[٣] وصرح آخوندزاده بجرأة: "إن التحرر من الظلم والاستبداد لا يمكن إلا بالعلم، ولا يمكن تحصيل العلم إلا بالتقدم، ولا يمكن تحقيق التقدم إلا بأخذ الليبرالية، ولا يمكن نشر الليبرالية إلا بالتحرر من العقائد الباطلة، فلا فائدة طالما دينك يمنع ذلك".[٤]

كما ذكر آخوندزاده أيضاً: "في الماضي، كان الأنبياء والفلاسفة والشعراء قد طالبوا المستبدين بترك الظلم وعدم ممارسته، ولكن المفكرين الجدد أمثال روسو ومونتسكيو أكدوا بأنه لا يتعين الترجي من الظالم، بل يجب تشجيع المظلوم لكي ينهض ويضع

---

[١] حول حياة آخندوف و افكاره راجع:
فريدون آدميت ، انديشه هاى مرزا فتحعلى آخوندزاده ، ضاث اول، انتشارات خوارزمى،تهران، ١٣٤٩.

[٢] المصدر نفسه، ص ١٤٨-١٤٩.

[٣] مرزا فتحعلى آخوندزاده، الفباى جديد و مكتوبات ، به كوشش حميد محمد زاده، ١٩٦٣م، ص ٢٨.

[٤] فريدون آدميت، انديشه هاى مرزا فتحعلى آخوندزاده ، ص ٢١٩.

نقطة نهاية لظلم المستبدين".[١] وانتقد آخوندزادة الليبراليين الإيرانيين أمثال يوسف خان مستشارالدولة ومرزا مالكوم خان على نهجهم التوفيقي في المحاولة للتقريب، وخلط بين مباديء الليبرالية الغربية وتعاليم وأسس الدين الإسلامي، لذلك في معرض انتقاده لكتاب "يك كلمة"، يقول: "حسب اعتقادكم وتصوركم يمكن بمساعدة أحكام الشريعة تحقيق وتثبيت الدستور الفرنسي في الشرق، حاشا وكلا، هذا محال ولا يمكن تحقيقه أبداً".[٢] كما آمن آخوندزاده بأن رفع الحيف وتطبيق العدالة والمفاهيم والأفكار الغربية في إيران لا يمكن إلا من خلال ثورة تهدم بناء النظام القديم وتعمل على تأسيس نظام جديد وفق المقاييس المعاصرة. قد تحدث آخوندزادة كثيراً عن مفاهيم مثل: الشعب، القومية[٣]، الوطن والوطنية. وقال: "إن الوطني هو كل من يفدي بروحه قرباناً لشعبه ووطنه ...للحصول على العزة القومية، وحفظ البلاد من الأجانب، والتحرر من التخلف. علينا جعل الناس متعلمين وإعطائهم دروساً في القومية والوطنية".[٤] وحاول آخوندزادة في مقالاته الأدبية وكتاباته المسرحية الكثيرة المتأثرة بالأدب الروسي الواقعي

---

[١] مرزا فتحعلى آخوندزاده، المصدر السابق، ص ٢١٦-٢١٧.

[٢] مقتبس من : لطف الله آجوداني ، المصدر السابق ص ، ٤٣.

[٣] من الواضح بان التغني والمفاخرة بالماضي البعيد والنزعة المعادية للعرب والإسلام و روح الاستعلاء القومي الإقصائي إلى حد الشوفينية وكراهية الغير كانت من السمات البارزة للقومية الفارسية ودعاتها منذ بدايتها، ويبدو أن جذور الشعوبية من جهة، وضعف وإذلال إيران أمام القوى الخارجية وظهور موجة من يقضة القوميات غير فارسية في بداية العصر الحديث كانت لها تأثير واضح على تحديد وتثبيت تلك السمات بشكل أن (بندكت اندرسون) يعتبر القومية الفارسية كجزء من (القوميات الرسمية الدولتية / Official or State nationalism) والتي تدخل ضمن النوع القومية العدوانية، وهذا ما يفسر وجود النزعة الشوفينية حتى لدى السياسيين والكتاب الإيرانيين الذين ادعوا الليبرالية.

Benedict Anderson , op cit , p102.

[٤] لطف الله آجوداني ، المصدر السابق ، ص ٤٥.

والانتقادي فتح عيون الإيرانيين وتشجيعهم لمقاومة الظلم السياسي والاجتماعي والتحرر من الجهل والجمود، كما حاول أيضاً إيجاد لغة سهلة جديدة متحررة من زخارف اللفظية والأسلوب القديم[١]، بل حاول أيضاً تغيير الفباء اللغة الفارسية واختراع الفباء جديد، وقال عن ذلك: "إن بناء السكك الحديدية واجب في سبيل تحديث إيران، ولكن تغيير ألفباء اللغة، فإنه أكثر وجوبا وأهميّة".[٢]

وكان من رواد اتجاه الفكر الاشتراكي الديمقراطي مرزا آقاخان الكرماني (١٨٥٤-١٨٩٦)، المتغرب المغترب الذي استقر في اسطنبول لعقد من الزمن، وكان على علاقة بالمحافل الثقافية ومتأثراً بأفكار الفلاسفة أمثال: بيكن، ديكارت، مونتسيكيو، روسو، اوغست كونت وهربرت اسبنسر،[٣] إذ اعتقد بأن ما تحتاجه إيران في ذلك الوقت هي الحرية الدينية والسياسية وحكومة ديمقراطية دستورية مبنية على القومية الإيرانية وسيادة القانون، كما كان متأثراً بأفكار الثورة الفرنسية، وطالب بالثورة ضدّ النظام الاستبدادي ودعا إلى المساواة بين الرجل والمرأة، وتوزيع عادل للثروة من خلال تحديد الملكية، وخصوصاً ملكيات أصحاب الأراضي. اعتقد آقاخان بأنه لا

---

[١] يعتبر جلال الدين مرزا رائداً للقومية الفارسية الذي كتب التأريخ الإيراني في ثلاث مجلدات بعنوان (رسالة الملوك / نامه ى خسروان)، وقد استخدم لغة فارسية قحة و ميسرة وتجنب في كتابه المصطلحات العربية التي كانت مستعملة وسائدة انذاك في الكتابة. وقد حذى حذو جلال الدين مرزا كثير من الكتاب الإيرانيين فيما بعد. ماشاء الله آجودانى ، يا مرط يا تجدد، ص ٦٥.

[٢] مرزا فتحعلى آخوندزاده، المصدر السابق، ص ٢٢٨.

[٣] للمزيد :فريدون آدميت ، انديشه هاى مرزا أقاخان كرمانى ، تهران ، ١٣٤٦.، محمد رضا فشاهى، المصدر السابق، ص ٤٧٨-٥٠٣.

يمكن تحقيق الحرية بدون المساواة، كما اعتقد أيضاً بوجوب التوازن بين قوة الدّولة وقوة الشعب لكي يتحقق العدل. [١]

كان لآقاخان دور كبير جداً في تاريخ حرية إيران والنضال من أجل تحقيق حكومة القانون، وإنه يعتبر من أكثر مفكرى مشروطة إيران ثقافةً وثورية. كان مطلعاً بشكل واسع على التاريخ والثقافة الإيرانية والإسلامية والثقافة الغربية المعاصرة على حد سواء، بالأخص مفكري القرن الثامن عشر الفرنسيين والليبرالية الانكليزية وفلاسفة يونان القديم، بالإضافة إلى مذاهب الفكر الاشتراكي والمادي والفوضوي والنيهيلستي. اعتقد آقاخان بأن الاستبداد السياسي والديني صنوان متوازيان، لذلك ربط بين وجود النظام الملكي المستبد المطلق والأيمان بإله واحد عند الشعوب الآسيوية، كما أشار إلى العلاقة بين نظام تعدد الآلهة وأسلوب الحكم الجمهوري الديمقراطي عند اليونانيين القدماء. كان آقاخان مطلعاً على الوضع الداخلي، وعارفا بتخلف وجهل العامة في إيران. لذلك كتب في رسالة له إلى مرزا مالكم خان يطلب منه محاولة كسب ودّ ومساعدة رجال الدين الناقمين من البلاط لأجل تعبئة الناس وتحريضهم ضدّ النظام.[٢]

كانت لمقالات مرزا آقاخان في جريدة (أختر/النجمة) الصادرة في اسطنبول صدىً واسعاً بين الإيرانيين، وكان شخص ناصرالدين شاه منزعجاً جداً من الانتقادات اللاذعة لآقاخان، إذ يقال بأنه عند سماع اسم آقاخان كان يشتد غضبه إلى حد يضرب الأرض بقدميه ويعض شفتيه بأسنانه. لقد تعاون آقاخان مع كل من مرزا مالكم خان والسيد جمال الدين الأفغاني في إصدار جريدة (قانون) في لندن. وبعد مقتل ناصرالدين شاه على يد (مرزا رضا الكرماني)، طالبت الحكومة الإيرانية من

---

[١] مهدى رهبرى، متجددان ايرانى و تجدد در عصر مشروطه (بررسى ثيدايش جدال هاي فكرى در ايران جديد ، فصلنامه مطالعات ملى، شماره ٤، سال هشتم ، ١٣٨٦، ص ٧٠.

[٢] فريدون آدميت، ايديولوذي نهضت مشروطيت ايران، تهران، ص ٢٩-٣٠.

الدّولة العثمانية تسليم آقاخان وأصحابه للسلطات الإيرانية، وقامت الدّولة العثمانية بتسليم آقاخان مع اثنين من رفاقه المثقفين الأحرار هما الشيخ أحمد الروحي وخبير الملك إلى الإيرانيين، حيث تم إعدامهم في حديقة الأعتضادية في تبريز بعد مدة قصيرة بأمر من الشاه الجديد مظفرالدين.[١]

ويعتبر مرزا عبدالرحيم طالبوف نجارزاده التبريزي (١٨٣٤-١٩١١) أحد المثقفين البارزين الذين كان لهم دور في تثقيف الإيرانيين بثقافة المطالبة بالحكومة الدستورية، ودولة القانون، وحق حرية التعبير والتجمع، والاستفادة من الحضارة الغربية، وأخذ العلم، والعمل نحو التقدم. كان طالبوف متأثراً بفلاسفة ليبراليين أمثال: جرمي بينتام، وجان لوك من الناحية السياسية والفلسفية. أما من الناحية الاقتصادية فإنه اتبع المنهج الاشتراكي، وطالب بالمساواة، وتدخل الدّولة في تنظيم وتوزيع الثروات والأملاك. وعرف الاشتراكية "بعلم إصلاح أحوال الفقراء ورفاهية المحتاجين"،[٢] تجسدت أفكاره في تراجمه وآثاره المتعددة كـ"ايضاحات"، "حول الحرية / در خصوص آزادى"، "سياست طالبى"، "كتاب احمد يا سفينة طالبى"، "مسالك محسنين"، "مسائل حياة" و "امثال ماركوس / بندنامه ماركوس".يقول طالبوف :" إن السبب الأساسي في تقدم شعوب الغرب تتجسد في طلوع شمس العلم والصناعة في الغرب، وأصبح المبدأ النافذ :الشعب يضع قانونه بنفسه ومصلحته وعلى الحكومة تنفيذه".[٣] كما ينتقد طالبوف النظم الاستبدادية بقوله:" إن أساس السياسة في تلكم الأنظمة هو منع الرعية من

---

[١] محمد رضا فشاهى، المصدر السابق، ص ٤٨٢-٤٨٥، ٤٧٤.

[٢] مهدى رهبرى، المصدر السابق، ص ٦٩.

[٣] مقتبس من : لطف الله آجوداني ، المصدر السابق، ص١٧٩-١٨٠.

إدراك وفهم أي شيء، حتى لا تفتح عيونها ولا تسمع صوت الحق المبين، لأنه بقدر ما يزداد جهل الرعية فإن تحملها للظلم سوف يزداد وستؤيد الحكومة بشكل أفضل".[١]

وكتب طالبوف أيضاً: "إذا أراد الإيرانيون معرفة مسألة لماذا لا تتقدم محاولات الوطنيين، ولماذا لا تزرع بذور تقدمنا، لماذا تتحول بشائر جرائدنا بعد يوم أو يومين إلى يأس وشؤم، ولماذا تنسى الحكومة تنفيذ قراراتها بعد يوم واحد من إصدارها...طالما لا يكون لنا قانون، فلا يكون هناك للأمة والدّولة والوطن من معنى".[٢]

من المعروف أن الأحداث والتطورات الداخلية التي قامت في الدول الجوار قد أثرت على أذهان الإيرانيين وتطور الوضع الداخلي السياسي في إيران، فقد قامت إصلاحات دستورية قوية تأثر بها الشعب الإيراني بدافع اقتباس التجارب في التغيير وشيوع الأفكار الإصلاحية والتقدمية بل وحتى الثورية والتي تشكل قاسماً مشتركاً بين كل الشعوب والمجتمعات، أو بدافع الغيرة التي تحفز الآخرين نحو التغيير، فإضافة إلى الحركة الإصلاحية في الدّولة العثمانية، كانت لأحداث روسيا تأثير بالغ على الوضع في إيران، إن انتصار اليابان على روسيا في حرب عام ١٩٠٤–١٩٠٥ قد أعطى لدعاة الإصلاح الإيرانيين دعماً قوياً باعتبار أن الانتصار تم لأنها دولة دستورية وأن هزيمتها جاءت لأنها دولة استبدادية لا يسودها قانون.[٣]

وهنا تجدر الإشارة بأن المناطق الشمالية من إيران تأثرت بالأحداث التي كانت تجري في مناطق القفقاس التي أصبحت جسراً للاتصال الفكري والاجتماعي بين إيران روسيا، تلك المناطق التي كانت مجالاً خصباً للحركات الثورية، ومنها دخلت إيران

---

[١] المصدر نفسه ، ص ١٨١.

[٢] المصدر نفسه ، ص ١٨٢.

[٣] محمد خاتمي ، المصدر السابق، ص ١٢٥–١٢٦.

المفاهيمُ الثورية والاشتراكية، وظهرت المجموعات اليسارية في شمال إيران وطهران العاصمة تحت أسماء مختلفة. وعندما بدأت صحيفة (الأسكرا / الشرارة) بالصدور في روسيا في ديسمبر ١٩٠٠، أخذ الثوريون الإيرانيون في جلب نسخ منها إلى إيران عبر باكو، حيث كانوا يعملون في حقول النفط هناك، وقد تأثر هؤلاء بأفكار الاشتراكية الماركسية وكانوا يؤمنون بأن انتصار الثورة الإيرانية أسهل مما في روسيا لعجز الدّولة القاجارية، ولعدم وجود جيش إيراني قوي يستطيع قمع الثورة حال اندلاعها. ولكن تداعيات الأحداث في روسيا القيصرية كانت أسرع مما هي في إيران، فقد سبقت روسيا بالثورة ضدّ قيصر، مما اضطره إلى اعلان الدستور في ٣٠ من تشرين الأول عام ١٩٠٥ وتشكيل البرلمان "الدوما"، وهذا ما جعل الإيرانيين يتأثرون بشكل أكبر بمجريات الأحداث هناك، وأن يسرعوا في تطبيق تجربة البرلمان في بلدهم ويحاولون نشر أفكار حول ضمان العدالة الاجتماعية والمادية، والحفاظ على استقلال إيران والهوية الوطنية ضدّ الهيمنة الإمبريالية الأوروبية، ومصادرة أموال الشركات الأجنبية.[١]

فضلاً عن ذلك، كان هناك تياراً سياسياً وفكرياً في شمال إيران، وبالأخص في آذربايجان وطيلان، مؤمناً بالإصلاحات الراديكالية الاقتصادية لصالح الطبقات العمالية والكادحة في نطاق نظام ديمقراطي برلماني. ومن أبرز من تمَثل هذا الاتجاه كل من محمد أمين رسول زاده و ارشاوير ضلنطريان، اللذان كانا على علاقة وارتباط مع زعماء الاشتراكية الديمقراطية الألمان أمثال: (كاوتسكي و برنشتاين).[٢]

---

[١] للمزيد :

خسرو شاكرى، ثيشينةهاى اقتصادى–اجتماعي جنبش مشروطيت و انكشاف سوسيال ديموكراسي ، تهران، اختران، ١٣٨٤، ص

[٢] مهدى رهبرى، المصدر السابق ، ص ٧١.

وهنا بالذات عندما نتحدث عن دعوات الإصلاحيين والثوريين الإيرانيين وتأثيرهم على الرأي العام، لا يمكن أبداً حصر هذه الدعوات بين خريجي المدارس الحديثة والمتغربين وترك مفكرين كبار أمثال السيد جمال الدين الأفغاني (١٨٣٨– ١٨٩٧) الذي كان من أشهر دعاة الإصلاح الديني والسياسي في عهد ناصرالدين شاه،[١] وكان لآرائه وطروحاته تأثير كبير على توجيه أذهان الشباب والفئة الواعية صوب محاربة الاستبداد الداخلي وهيمنة النفوذ الأجنبي في إيران. وقد زار جمال الدين إيران مرتين في أثناء حكم ناصرالدين شاه، ولكن الشاه سرعان ما استبد به القلق وعمل على طرده من البلاد بسبب نشاطاته ودعواته المستمرة للإصلاح، والدستور، والحرية، والوقوف بوجه الأجانب، وكذلك اتصالاته المستمرة بالفئات المختلفة للمجتمع الإيراني، وتأثيره الكبير على الشباب، وتعاظم نفوذه، وازدياد انصاره ومؤيده.[٢]

كان لجمال الدين الأفغانى دور محوري في تحريض الإيرانيين ضدّ منح امتياز التبغ إلى شركة انكليزية من قبل ناصرالدين شاه عام ١٨٩٠ من خلال مقالاته ورسائله التي أرسلها إلى العلماء والمجتهدين الكبار أمثال السيد مرزا محمد حسين خان الشيرازي في سامراء والسيد محمد طباطبائي في طهران، وأصدر فتوى بتحريم استعمال التبغ، وظهرت اضطرابات في بعض المدن الإيرانية احتجاجاً على هذا الامتياز. فكانت هذه أُولى علامة لثورة شعبية ضدّ النظام السائد وأول تجربة للنضال السياسي العصري تتحالف فيها فئات مدينية، كتجار البازار والمثقفين والروحانيين

---

[١] دكتور علي شلش، جمال الدين الأفغاني بين دارسيه، الطبعة الأولى ، دار الشروق، القاهرة، ١٩٨٧.، آراو انديشه سيد جمال الدين اسدآبادى، به اهتمام دكتور بهرام هوازنى، ضاث اول، ١٣٨٨

[٢] الدكتورة فرح صابر، المصدر السابق، ص ٨٤.

بشكل أجبروا الشاه على التراجع والغاء قرار الامتياز. وكان جمال الدين حلقة وصل بين الروحانيين والفئة المثقفة المناهضة للامتياز في هذه التجربة النضالية[١].

وقد أكد الآفغاني على دور الحكومة في التخلف وانحطاط المجتمع، وأشار إلى أن عامل الاستبداد وجمع السلطات في يد شخص واحد الذي يحكم بهواه وعدم وجود قانون مكتوب عامل أساسي في انتشار الفساد والإذلال وانعدام العدالة.[٢]

وفي منفاه في لندن زاد الآفغاني ضراوة وعنفاً في مهاجمة الشاه عبر صحيفتي (ضياء الخافقين) و(القانون)، وكانت حملاته هذه تقض مضاجع الشاه وتترك أسوأ الأثر في نفسه. ويقال بأن اغتيال ناصرالدين شاه كان نتيجة للإرهاصات الفكرية والأجواء التي خلقها الأفغاني في إيران، وقيل بأن قاتل الشاه صرخ في اللحظة التي أطلق رصاصات مسدسه نحوه "خذها من يد جمال الدين".[٣]

وبعد اغتيال ناصرالدين شاه ومجيء ابنه مظفرالدين (١٨٩٦-١٩٠٧) إلى سدة الحكم، تراخت قبضة الأتوقراطية، وحدث انفراجاً نسبياً في الحياة السياسية والثقافية، فقد أعاد الشاه الجديد الاتصالات بين إيران والعالم الخارجي، وعاد الكثير من الشباب المثقفين من الخارج، وسافر إليها عدد آخر منهم، وخففت حدة الرقابة على الصحف، مما أدى إلى تعدد الصحف وازدهار الصحافة وارتفاع أعدادها الصادرة وازدياد قرائها، وسمح لصحف المنفيين بدخول البلاد، ودبت حياة جديدة في النشاطات الثقافية. [٤]

---

[١] ثيتر آورى، المصدر السابق، ١٩٠-١٩٥.

[٢] مقصود رنجبر ، مبانى انديشهء سياسى سيد جمال الدين اسدآبادى ، في: آراو انديشه سيد جمال الدين اسدآبادى، ص ١٧٥.

[٣] الدكتورة فرح صابر، المصدر السابق، ص ٨٧.

[٤] المصدر نفسه، ٩٦-٩٧. للمزيد حول شخصية مظفرالدين شاه راجع: مرتضى رواندى، المصدر السابق، ص ٥٨٤-٥٨٥.

أدى هذا الانفتاح النسبي إلى تزايد المطالبة بالحكومة الدستورية، والحد من الاستبداد والنفوذ الخارجي. وتجلت فحوى نشاطات المعارضين للنظام في تشكيل جمعيات ثقافية وسياسية سرية وشبه علنية تركزت بصورة خاصة في مقاطعة آذربيجان وفي العاصمة طهران. وكان من أهم أهدافها: نشر المعارف والمبادىء الديمقراطية، كأطلاق الحريات الفردية، وتحقيق المساواة بين المواطنين، وتوزيع الأراضي على الفلاحين، وتخفيض الضرائب، وحق العمال في التنظيم والإضراب، وكذلك تحديد ساعات العمل، وإنهاء الاستبداد، وإجراء إصلاحات قضائية وعسكرية واقتصادية. ومن أهم هذه الجمعيات:

أولاً: جمعية (شركت اسلامي). تأسست في اصفهان بين عامي (١٩٠٠-١٩٠١) من قبل (ملك المتكلمين). وكانت تهدف إلى الحفاظ على استقلال البلاد وحماية الإنتاج الحرفي وتشجيع الصناعات الوطنية.

ثانياً: جمعية الرجال الأحرار (انجمن آزاد مردان). أسستها مجموعة من المثقفين الوطنيين في طهران عام ١٩٠٣، وعلى رأسهم ملك المتكلمين. إن أفراد هذه الجمعية كانوا ينتمون إلى الطبقة المتوسطة. وتمكنت هذه الجمعية من تأسيس أول مكتبة وطنية في تأريخ إيران (كتابخانهء ملي) عام ١٩٠٤، وكذلك ٥٥ مدرسة خصوصية في طهران.

ثالثاً: جمعية المركز السري (مركز غيبي). أسسها مجموعة من المثقفين الذين كانوا يصدرون جريدة (كنز الفنون / طنجينة فنون) في تبريز عام ١٩٠٥، وكان رئيسها الشيخ على الكربلائي المشهور بـ (مسيو) لمعرفته واطلاعه على اللغة والثقافة الفرنسية. وكان هدف الجمعية نشر الثقافة والاهتمام بالأدب والفكر والفلسفة السياسية الفرنسية.

رابعاً: الحزب الاجتماعي العامي (اجتماعيون عاميون)، أو (الاشتراكي الديموقراطي). تأسس في باكو من قبل نخبة مثقفة أمثال نريمان نريمانوف وحيدر عمو اوغلى و إبراهيم ميلانى عام ١٩٠٥، كانت متأثرة بمبادىء الثوريين والديمقراطيين الروس مطالباً بحق العمال في التنظيم والاعتصام، وتحقيق الحريات، والعدالة الاجتماعية، والرفاه العام. وقد لعب هذا الحزب دوراً كبيراً في أحداث الثورة المشروطية الإيرانية .[١]

خامساً: الجمعية السرية (انجمن مخفي). أسسها كل من السيد عبدالله بهبهاني والسيد محمد طباطبائي عام ١٩٠٥ في طهران، وكانت هدفها محاربة الفساد والسيطرة الأجنبية. وكان للسيد بهبهاني علاقة قوية مع جمال الدين الأفغاني، ومعروفاً بكونه إصلاحياً معتدلاً. وكان طلب الجمعية: إقامة مجلس عدلي (عدالت خانه)، تعديل نظام الضرائب، تشجيع التجارة، إعادة تنظيم الكمارك.

سادساً: اللجنة الثورية (كميته انقلابي). تأسست هذه اللجنة من قبل خمس شخصيات إيرانية، فضلاً عن ملك المتكلمين، وكان لهم دور كبير في الثورة الدستورية منهم : الحاج مرزا يحيى دولت آبادي، عليقلي خان سردار اسعد بختياري، سيد جمال الدين الواعظ الأصفهاني. وقد دعت الجمعية إلى وضع خطط لقلب نظام الحكم، وتدبير المكائد والدسائس، واستغلال الثغرات والحزازات الشخصية بين أركان النظام، ودعم العناصر المعتدلة ضدّ المحافظة، والاتصال بالعلماء للحصول على دعم الفئات الدنيا.

سابعاً: الجمعية الإنسانية (جامع آدميت). تأسست هذه الجمعية من قبل مرزا عباسقلي خان القزويني أحد تلامذة مرزا مالكوم خان، وقد اشتهر مرزا عباسقلي

---

[١] ماشاء الله آجودانى ، مشروطه ى ايرانى، ص ٤١١-٤١٣.

ب(آدميت) وأنه أب لفريدون آدميت المؤرخ المشهور للثورة المشروطية الإيرانية. كانت مباديء هذه الجمعية قريبة من مباديء "الفراموشخانة" التي أسسها مرزا مالكوم خان سابقاً على غرار الجمعيات الماسونية التنويرية المنتشرة في أوروبا خلال القرن التاسع عشر، ورّكزت مطالب الجمعية على تأمين الحرية الفردية، والمساواة أمام القانون لكل المواطنين بغض النظر عن الفروقات في الأصل والدين.[١]

وهكذا بسبب جهود ونشاطات المثقفين الأحرار في القرن التاسع عشر وتطور البناء المعرفي والفكري والثقافي في إيران، تأهل جيل واعٍ وشريحة فاعلة من أبناء المجتمع الإيراني مع مطلع القرن العشرين للمطالبة بالإصلاح والتجديد وتحديث البلاد وفق أسس دستورية ديمقراطية تظهر فيها تأثيرات الفكر الأوروبي الحديث بصورة واضحة، كما أن مشاعر السخط الاجتماعي والانتقاد السياسي، وحسب ما ذكره السفير الانكليزي، لم يبق منحصراً بين الطبقات العليا والمثقفين فحسب، بل انحدر إلى مختلف الفئات الأخرى في أسفل السلم الاجتماعي ضدّ النظام القاجاري في إيران، وتفاقم بشكل غير مسبوق.[٢] وإن التراكمات التي مافتئت تتراكم شيئاً فشيئاً قد تهدد بانفجار عنيف، ولاسيما أن أوساطاً عديدة في المجتمع بدأت تتسائل عن جدوى استمرار نظام أثبت إفلاسه على مختلف الصعد.

وفي تلك الأجواء الحافلة بالعمل والنشاط التنظيمي والأفكار التحررية والثورية، والتي تداخلت فيها الصبوات الليبرالية والآمال القومية، وبعدما نجح النّخبة المثقفة في تنبيه

---

[١] للمزيد حول هذه الجمعيات و نشاطاتها راجع:
ر.ك. اسماعيل رائين ، انجمن هاى سرى در انقلاب مشروطيت، تهران، انتشارات جاويدان، ١٣٥٥ .، حسن اعظام قدسى،كتاب خاطرات من ياروشن شدن تاريخ صدساله ، جلد اول ، تهران ، ١٣٤٢ ، ص ١٤٢-١٤٣.، يرواند ابراهاميان، المصدر السابق، ص ٦٩-٧٣ .

[٢] فريدون آدميت، ايديولوذي نهضت مشروطيت ايران، تهران، ص ٢٧.

أذهان بعض القطاعات من أهالي المدن إلى مساوىء النظام الاستبدادي الذي فقد شرعيته بسبب عدم قدرته على مواجهة الأزمات ومماشاة الحركة الإصلاحية داخل النظام وخارجه واستيعاب التغييرات الجديدة ، وكذلك مخاطر تزايد النفوذ الأجنبي، لذلك بدت إيران في السنوات الأولى من القرن العشرين على حافة الانفجار السياسي، ولم يكن يعوز تلك الانفجار سوى الفتيل، وتجسد هذا الفتيل في قيام حاكم طهران بجلد عدد من التجار بتهمة احتكار السكر في كانون الأول عام ١٩٠٥.

قائمة المصادر

أولآ- المصادر العربية :

- احسان الهى ظهير، البابية (عرض و نقد) ، لاهور– باكستان ، ١٩٧٨ .
- اليكسي دو توكظيل، النظام القديم والثورة الفرنسية، ترجمة: خليل كلفت، بلا تأريخ، بلا مكان الطبع .
- عبدالرحيم ذاكر حسين، الأدب السياسي الايراني، ج١، طهران، ١٣٧٧.
- علي شلش (دكتور)، جمال الدين الأفغاني بين دارسيه، الطبعة الأولى ، دار الشروق، القاهرة، ١٩٨٧.
- الدكتورة فرح صابر، المثقفون الايرانيون من التأسيس الى الثورة . الثورة الايرانية نموذجاً، دار الكتاب العربي، مؤسسة الصفاء للمطبوعات بيروت–لبنان.
- كرين برينتن ، تشريح الثورة، ترجمة :سمير الجلبي، مراجعة: د. غازي بزو، الطبعة الأولى، دار الفارابي، ٢٠٠٩.

ثانياَ- المصادر الفارسية:

- احمد كسروي، تاريخ مشروطه ايران، تهران، ١٣٧٩.
- ادوارد براون، انقلاب مشروطيت ايران، ترجمةي مهدي قزويني، انتشارات كوير، ضاث دوم، تهران، .
- ادوارد براون، تاريخ مطبوعات و ادبيات ايران در دورةء مشروطيت، ترجمةى محمد عباس، جلد٢، تهران، ١٣٣٦.

- آراو انديشه سيد جمال الدين اسدآبادى، به اهتمام دكتور بهرام هوازنى، ضاث اول، ١٣٨٨.
- اسماعيل رائين ، انجمن هاى سرى در انقلاب مشروطيت، تهران، انتشارات جاويدان، ١٣٥٥ .
- اسماعيل رائين ، مرزا مالكم خان "زندطي و كوشش سياسي او"، ضاث دوم ، تهران، انتشارات صفي عليشاة، ١٣٥٣ .
- ايوانوف م.س ، انقلاب مشروطه ايران ، ترجمة : كاظم انصارى ، انتشارات بابك تهران ، ١٣٥٤ش.
- ثاولويض . م ، سى مقالة دربارهء انقلاب مشروطه ايران، ترجمه : م . هوشيار.
- ثيتر آورى ، تأريخ معاصر ايران ، ترجمه : محمد رفيعى مهر آبادى ، جلد أول ، ضاث ضهارم ، انتشارات عطائى ، تهران ، ١٣٧٧ش.
- جان فورَن ، نظريهثردازي انقلاب ها، ترجمةء: فرهنط ارشاد، نشر نى، ١٣٨٢.
- دكتر جمشيد فاروقى ، روحانيون سياسى يا اسلام سياسى- ضند نكتة ثيرامون نقش روحانيون در انقلاب مشروطه، فصلنامه تلاش ، ١٥ مرداد ١٣٨٥.
- حسن اعظام قدسى،كتاب خاطرات من ياروشن شدن تاريخ صدساله ، جلد اول ، تهران ، ١٣٤٢ .
- خسرو شاكرى، ثيشينةهاى اقتصادى-اجتماعي جنبش مشروطيت و انكشاف سوسيال ديموكراسي ، تهران، اختران، ١٣٨٤.
- دكتر سهيلا ترابى فارسانى، تجار و مشروطيت و دولت مدرن ، نشر تأريخ ايران ، تهران ، ١٣٨٤ .

- عبدالهادی حائری، تشیع و مشروطیت در ایران و نقش ایرانیان مقیم عراق، تهران ١٣٦٤ .
- مرزا فتحعلی آخوندزاده، الفبای جدید و مکتوبات ، به کوشش حمید محمد زاده، ١٩٦٣م.
- فریدون آدمیت ، أمیر کبیر و ایران، قسمت اول، طهران، ١٣٢٣.
- فریدون آدمیت، اندیشهء ترقی و حکومت قانون . عصر سثهسالار ،ضاث سوم ، شرکت سهامي انتشارات خوارزمی، تهران، ١٣٨٥ .
- فریدون آدمیت ، اندیشه های مرزا أقاخان کرمانی ، تهران ، ١٣٤٦.
- فریدون آدمیت ، اندیشه های مرزا فتحعلی آخوندزاده ، ضاث اول، انتشارات خوارزمی،تهران، ١٣٤٩.
- فریدون آدمیت، ایدیولوذي نهضت مشروطیت ایران، تهران، ١٣٧٨.
- کارل ثوثر، جامعة باز و دشمنان آن، ترجمه : عزت الله فولادوند، خوارزمی، ١٣٦٩.
- کاظم علمداری، ضرا ایران عقب ماند وغرب ثیش رفت؟ ضاث اول ، نشر توسعة .
- طارثویت.جن راف، تاریخ سیاسی و اجتماعی بختیاری ، ترجمه مهراب امیری، ضاث اول ، نشر سهند، تهران، ١٣٧٣.
- لطف الله آجودانی ، روشنفکران ایران در عصر مشروطیت، ضاث دوم ، تهران ، ١٣٨٧.

- ماشاء الله آجودانى ، يا مرط يا تجدد (دفتري در شعر و ادب مشروطه) ، ضاث ضهارم ،نشر اختران ، تهران، ١٣٨٧.
- محمد اسماعيل رضوانى، انقلاب مشروطيت ايران، تهران، كتابخانه ابن سينا، ١٣٤٤ .
- محمد خاتمى زمينه هاى خيزش مشروطه، تهران، ضاث اول .
- محمد رضا فشاهى ، تحولات فكري و اجتماعي در جامعة فئودالى ايران. از طاتها تا مشروطيت، ضاث سوم ، تهران ، ١٣٨٦.
- محمد على همايون كاتوزيان، اقتصاد سياسى ايران، ترجمه محمد رضا نفيسى و كامبيز عزيزى، نشر مركز، ١٣٧٤.
- محمد على همايون كاتوزيان، ايران جامعهء كوتاه مدت و ٣ مقاله ديطر، ترجمهء عبدالله كوثري، نشرى نى ، تهران ، ١٣٩٠.
- محمد محيط طباطبايى، دار الفنون و أمير كبير ، تهران، ١٣٥٤.
- مصطفى موسوى طبرى، عباس مرزا قاجار، شرح حال و سياست و خدمات أو، تهران، انتشارات ابن سينا، ١٣٥٣.
- مقصود رنجبر ، مبانى انديشهء سياسى سيد جمال الدين اسدآبادى ، في: آراو انديشه سيد جمال الدين اسدآبادى.
- مهدي بامداد، شرح رجال ايران در قرون ١٢ و ١٣ و ١٤ هجرى، تهران، ١٣٥٧.

- مهدی رهبری، متجددان ایرانی و تجدد در عصر مشروطه (بررسی ثیدایش جدال هاي فکری در ایران جدید ، فصلنامه مطالعات ملی، شماره ٤، سال هشتم ، ١٣٨٦.

- ناصر نجمی، عباس مرزا، ضاث اول، بهار ، ١٣٧٤ .

- ناظم الاسلام کرمانی ، تاریخ بیداری ایرانیان، به کوشش علی اکبر سعید سیرجانی، بنیاد فرهنط، ١٣٥٧ .

- هما ناطق و فریدون آدمیت، افکار اجتماعی و سیاسي و اقتصادی در آثار منتشر نشده ی دوران قاجار، ضاث اول، تهران، انتشارات آطاه ، ١٣٥٦.

- یحیی آریان ثور، تاریخ ١٥٠ سالهی ادبی فارسی ، تهران، أمیر کبیر، ١٣٥٤.

- یرواند ابراهامیان: إیران بین دو إنقلاب، ترجمة: کاظم فیروزمند ومحسن مدیرشانة ضی،ضاث ضهارم،نشر مرکز،١٣٨٠ش .

ثالثاَ- المصادر الأجنبية:

- Benedict Anderson, Imagined Communities: Reflection on the Origin and Spread of Nationalism (London, 1983).

- Bernard Lewis, The Emargence of Modern Turkey, 2nd ed. (London : Oxford University Press, 1969) .

- Daniel Moremt , **Les origines intellectuelles de la Révolution française, 1715-1787**, *(Paris: Armand Colin, 1933,1967).*

- Eric Selbin , Modern Latin American Revolution (Moulder : Westview Press, 1993).

- Gheissari, Ali , Iranian Intellectuals in the 20th Century, University of Texas Press, 1998 .

- Hooshang Amirahmadi , the Political Economy of Iran under the Qajars, (I.B . Tauris @Ltd, Palgrave Macmillan , 2012).

- N. Jameel , The great French Revolution and establishment of concept (Law) and Freedom in Iran (second half XIX Perespectiv)Tbilisi, 2007.

- P. Lavrov , Historical Letters. (Berkeley ,calif. 1967) , p141.

- Roger Chartier, The Cultural Origins of the French Revolution, translated by Lydia G. Cochrance (Durham and London: Duke University Press, 1991). p18.

- THEDA SKOCPOL , States and Social Revolution . A COMPARATIVE ANALYSIS OF FRANC, RUSSIA AND CHINA (CAMBRIDGE UNIVERSITY PRESS, 1979.

- Wendy Griswold, Cultures and Societies in the Changing World (thousand Oaks, London, New Delhi: Pine Forge Press, 1994).

ملخص البحث

من الواضح بأن للعامل الثقافي دور مهم في اندلاع الثورات في التأريخ الحديث ومنها الثورة المشروطية اللايرانية (١٩٠٥-١٩١١) التي كانت تهدف الى القضاء على الظلم والاستبداد وإصلاح الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية المتدهورة عن طريق تغيير نظام الحكم القاجاري، من ملكية إسلامية عصور وسطوية ذات إدارة كلاسيكية إلى ملكية دستورية برلمانية ذات مظاهر خارجية مقتبسة من الحكومات النيابية المعاصرة في أوروبا الغربية. اذ بدأت أفكار حديثة حول الاستقلال السياسي والاقتصادي وثقافة الإصلاح والتجديد والعقلانية والتقدمية والتغيير والحرية والمشروطية تتسرب وتتغلغل وتنتشر في جسد المجتمع الإيراني، وأن التراكم الثقافي ونشر هذه الأفكار خلق شعوراً بالحاجة لتحقيق الانتقال إلى النظام الدستوري وإنشاء دولة حديثة في إيران. فقد كان للأنتليجنسيا الإيرانية دورُ كَبير في توجيه أذهان الشباب والفئة الواعية من الإيرانيين صوب الإصلاح و التجدد بدءاً بنبذ الحُكم الاستبدادي والفردية في الحكم، والتحريض على الدستور وسيادة القانون ، تلك الفئة التي تحولت إلى جسر لنقل تلك الأفكار ، وكانت تفكر وتعمل وتُخطط من أجل إحداث تغيير جذري في الكيان السياسي والاقتصادي والاجتماعي للدولة القاجارية.

Abstract

It is clear that the cultural factor has its important role in the outbreak of revolutions in modern history, including the Iranian constitutional Revolution (1905-1911), which aimed to eliminate injustice and tyranny and reform of economic and social conditions deteriorating by changing the system of Qajaries government to a democratically and parliamentary system.. the Iranian Intellectuals has significant role in directing the minds of youth and class conscious of Iranians towards the repair and regeneration by starting to reject authoritarian rule and individual judgment, and incitement to the Constitution and the rule of law, that class which turned into a bridge for the transfer of those ideas, and she was thinking and working plans for change radical political entity and the economic and social Council of the Qajar state.